



يَأْتِينَا الْأَحَقُّ

قلم تحل به القضايا البحثية التي كانت تعقد لفكها

مهدي أحسن - باحث بجامعة دار الهدى الإسلامية، بنغال الغربية

الإهداء

إلى الزملاء الذين كانوا معي لتقديم هذه الدراسات في المؤسسات العلمية

المؤلف

مهدي أحسن باحث وكاتب ومترجم هندي متعدد اللغات، يجمع في مسيرته العلمية بين الأصالة التراثية الإسلامية والمنهجية الأكاديمية الحديثة. يتابع دراسته الجامعية في تخصص أصول الفقه والفقه بجامعة دار الهدى الإسلامية (فرع البنغال الغربية)، إلى جانب دراسته في قسمي اللغة الإنجليزية واللغة العربية بكلية جان جبور (التابعة لجامعة كالياني). يجيد اللغات العربية، والإنجليزية، والأردية، والبنغالية، وتتركز اهتماماته البحثية في مجالات الدراسات الإسلامية، والتاريخ الإقليمي، والهوية اللغوية، وتحقيق المخطوطات والتراث الصوفي في شبه القارة الهندية.

نشرت لمهدي أحسن دراسات وأبحاث محكمة، مقالات فكرية، وقصائد أدبية في مجلات ودوريات علمية وصحف محلية ودولية بارزة، من أهمها مجلة أقلام الهند وجريدة بربر كالم. وقد شارك بأوراق علمية في مؤتمرات أكاديمية وطنية ودولية بجامعة هندية مرموقة مثل الجامعة المليية الإسلامية بنيودلهي، جامعة كاليكوت، جامعة البنجاب المركزية، وجامعة مولانا آزاد الوطنية للغة الأردية. نال العديد من التقديرات والجوائز الأكاديمية، من أبرزها حصوله على المركز الأول في الخطابة باللغة العربية على المستوى الوطني في مهرجان (SIBAQ) بولاية كيرالا. ويعد كتاب «العالم الدكتور منكر حسين: عبقرية خالدة (1954-2025)» أحدث وأبرز إصداراته العلمية في تراجم الأعلام والتاريخ الحديث.

يمكن التواصل مع المؤلف عبر حسابه الشخصي على إنستغرام: [mehedi__461](https://www.instagram.com/mehedi__461) وعبر

منصته العلمية: al__itqan.01.

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من بعث معلماً وهادياً، أفصح الناس لساناً وأتمهم بياناً، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد؛

فإن هذا الكتاب يحتوي البحوث والدراسات الأكاديمية التي تعد الركيزة الأساسية للنهوض بالفكر الإنساني والإسلامي، والوسيلة الأمثل لقراءة التراث وتفكيك قضايا الواقع لمعالجتها بأدوات منهجية معاصرة. ومن هذا المنطلق، يأتي هذا الكتاب ليكون جامعاً لدراسات وبحوث متعددة أعدت بجهد علمي لربط الأصالة بالمعاصرة ومقاربة قضايا التراث الإسلامي، واللغة العربية، والتاريخ الإقليمي، والسياسة، والتقنيات الحديثة.

يعالج هذا الكتاب مع دفتيه تسعة محاور بحثية تشكل رؤية متكاملة؛ حيث يبدأ بدراسة تحليلية حول السنة النبوية وأثرها في إثراء اللغة العربية من حيث المفردات والأساليب والدلالات، ثم ينتقل إلى الطب النبوي في إثراء العلاجات العقلية والجسدية عبر مقارنة بين العلاجات الإسلامية والعلاجات الحديثة البديلة. كما يستكشف الكتاب عدسة التبليغ النبوي والواقع الإعلامي الإسلامي المعاصر من خلال دراسة أخلاقية لمنصات التأثير الإسلامي، ويفرد قراءة تاريخية حول المسلمين في البنغال من العصور الوسطى إلى العصر الحديث للوقوف على مساهماتهم الحضارية. ويناقش الكتاب الخطورة السياسية والتاريخية لاتحاد الطلبة المسلمين

في الهند عبر دراسة تاريخية وسياسية، إلى جانب قراءة في الهجرة النبوية كأحداث أضاءت صحائف التاريخ الإسلامي وشكلت ملامحه الحقيقية.

تتسع أبواب الكتاب لتشمل دراسة سياسية حول تأثيرات السياسة الهندية وتشويه السياسة الإسلامية وتأثير ذلك على الحقوق والنضال، إضافة إلى قراءة نقدية في الوظيفة التعبيرية للمنمنمات وجدلية الواقع الاجتماعي في رسوم الواسطي ومقابلها في الصنعة اللفظية لمقامات الحريري، وختاماً يستعرض الكتاب مراحل الذكاء الاصطناعي وجولاته في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

أرجو أن يجد القارئ الكريم والباحث الأكاديمي في هذه الصفحات ما يثري حصيلته المعرفية ويفتح آفاقاً جديدة للبحث، سائلاً الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ونافعاً لطلبة العلم.

الفهرس

1. السنة النبوية وأثرها في إثراء اللغة العربية: دراسة تحليلية في المفردات والأساليب

والدلالات

2. الطب النبوي في إثراء العلاجات العقلية والجسدية: دراسة معقدة بين العلاجات

الإسلامية والعلاجات الحديثة البديلة

3. استكشاف عدسة التبليغ النبوي والواقع الإعلامي الإسلامي المعاصر: الدراسة

الأخلاقية لمنصات التأثير الإسلامي

4. المسلمون في بنغال من العصور الوسطى إلى العصر الحديث: دراسة تاريخية كيف

يؤدي بهم المساهمات

5. الخطورة السياسية والتاريخية لاتحاد الطلبة المسلمين في الهند: دراسة تاريخية

وسياسية

6. الهجرة النبوية: لمحات أضاءت صحائف التاريخ الإسلامي، دراسة التي تشكل أسود

التاريخ الحقيقي الإسلامي

7. السياسة الهندية بثت البأس وتشويه السياسة الإسلامية لصالح النضال: دراسة سياسية

التي تعوق الحقوق

8. الوظيفة التعبيرية للمنمنمات: دراسة تحليلية لجدلية الواقع الاجتماعي في رسوم

الواسطي ومقابلها في الصنعة اللفظية لمقامات الحريري

9. مراحل الذكاء الاصطناعي وجولاته في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

السنة النبوية وأثرها في إثراء اللغة العربية

دراسة تحليلية في المفردات والأساليب والدلالات

الملخص

تعالج هذه الدراسة مع السنة النبوية وأثرها في إثراء اللغة العربية بدراسة تحليلية في المفردات والأساليب والدلالات، انطلاقاً من فجوة بحثية تتمثل في غلبة التركيز على السنة النبوية بوصفها مصدراً تشريعياً وحديثياً، مع قلة الدراسات التي تتناول بصورة متكاملة أثرها في إثراء العربية من الناحية المعجمية و الأسلوبية والدلالية. وتسعى الدراسة إلى سد هذه الفجوة من خلال الكشف عن الأبعاد اللغوية والبيانية للأحاديث النبوية، وبيان دورها في حفظ الفصحى وإغناء مفرداتها وتوسيع دلالاتها وتطوير أساليبها.

وتعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، مع الإفادة من المنهج التاريخي، وتوظف في تحليل النصوص مفهوم السياق اللغوي والمقامي، الذي يعد من المفاهيم الأصيلة في التراث العربي، ولا سيما في دراسة الدلالة؛ إذ لا يقتصر فهم اللفظ على معناه المعجمي المجرد، بل يتحدد ويتسع بحسب السياق الذي يرد فيه. ومن خلال هذا المفهوم، تحلل الدراسة نماذج مختارة من الأحاديث النبوية، وتتبع تحول بعض المفردات واتساع دلالاتها، خصائص التراكمات والأساليب، مع الاستفادة من كتب الحديث وغريب الحديث والنحو والبلاغة.

وتخلص الدراسة إلى أن السنة النبوية لم تكن مصدراً للتشريع فحسب، بل شكلت رافداً مهماً في صيانة العربية وإثراء معجمها وترسيخ أساليبها وتوسيع دلالاتها، وأسهمت في خدمة علوم النحو والصرف والبلاغة. كما تبرز إمكانية توظيف الحديث النبوي في تعليم العربية المعاصر، بما يجمع بين أصالة التراث وفعالية التعليم. وتتمثل ثمرة البحث في تعزيز الصلة بين اللغة العربية والسنة النبوية، وترسيخ الهوية اللغوية والثقافية، وفتح آفاق جديدة لخدمة العربية وازدهارها.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية، اللغة العربية، السياق اللغوي، المفردات، الدلالات.

المقدمة

اللغة العربية ليست وعاء صوتيا مجردا يحمل المعاني فحسب، بل هي كيان حضاري حمل رسالة الاسلام الى الانسانية جمعاء، وارتبط وجودها التاريخي ارتباطا وثيقا بنزول القرآن الكريم وصدور السنة النبوية المطهرة. وقد شهد المستشرقون انفسهم بهذه المكانة، اذ يرى ريجيس بلاشير¹ إن العربية أداة تعبير حضاري حملت رسالة دينية وثقافية عابرة للزمان والمكان. ومن هذا المنطلق فإن العربية لم تكن في مسيرتها التاريخية لغة عابرة أو أداة اتصال يومي محض، بل وعاء مقدسا حمل القرآن والسنة معا، حتى غدت أساسا للهوية والمعرفة عند الامة الاسلامية جمعاء.

ويعيش العالم اليوم في مرحلة تتسارع فيها موجات العولمة والرقمنة، وتتوسع اللغات المهيمنة على حساب اللغات ذات الجذور التراثية العريقة، وتتفكك بعض الهويات اللغوية بفعل غياب الخبرة العلمية الرصينة، وتزداد الفجوة بين الدرس اللغوي التقليدي والدرس اللغوي الحديث. وفي خضم هذه الأزمات المتشابكة تبرز الحاجة الملحة إلى العودة إلى النصوص التأسيسية العربية، وفي مقدمتها القرآن الكريم والسنة النبوية، بوصفها مصادر أصيلة يمكن أن تعيد للدرس اللغوي توازنه، وتمنحه عمقا تراثيا لا ينفصل عن راهنية التطبيق التعليمي.

وقد اقترن ورود القرآن الكريم باللسان العربي المبين في قوله تعالى: انا انزلناه قرانا عربيا (يوسف: 2)، بينما اضطلعت السنة بوظيفة البيان والتوضيح، مصداقا لقوله تعالى: لتبين للناس ما نزل إليهم (النحل: 44). وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم نفسه بقوله: أوتيت جوامع الكلم²،

¹ Blachère, R. (1960). *Introduction à la lecture du Coran*. Paris: Librairie Orientaliste Paul Geuthner.

² البخاري، محمد بن إسماعيل. (بدون تاريخ). صحيح البخاري، حديث رقم 4750. القاهرة: دار الحديث.

وهو وصف يحدد سمة أسلوبه اللغوي القائم على الإيجاز والاحكام. ومن هنا كان الحديث النبوي، إسناده وامتنا، نصا عربيا محفوظا بالضبط والرواية، أسهم في تقعيد النحو، واغناء المعجم، وتشكيل البلاغة والأسلوب، وتوحيد الفصحى، وتطوير طرائق التعليم. وقد سار العلماء منذ سيبويه المتوفى سنة مئة وثمانين للهجرة، الى السيوطي المتوفى سنة تسعمائة وإحدى عشرة للهجرة، على هذا النهج، مؤكدين أن الحديث النبوي ليس نصا دينيا فحسب، بل شاهد لغوي وحضاري في آن واحد.

إشكالية الدراسة

يلاحظ الباحث في مطالعته للدراسات السابقة أن الغالب الأعم منها قد اقتصر على دراسة السنة النبوية من زاوية علوم الحديث، والإسناد والجرح والتعديل، أو من زاوية الفقه وأصوله، في حين لم تحظ الأبعاد اللغوية للحديث النبوي بدراسة متكاملة تجمع بين المعجم والأسلوب والدلالة في إطار تحليلي واحد. ومن هنا تتحدد إشكالية الدراسة في السؤال المحوري التالي: كيف ساهمت السنة النبوية في إثراء اللغة العربية على مستوى المفردات والأساليب والدلالات؟ وتتفرع عن هذا السؤال المحوري أسئلة فرعية، منها: ما الدور الذي اضطلعت به السنة النبوية في حفظ الفصحى وتوحيدها؟ وكيف أسهم الحديث النبوي في تقعيد قواعد النحو والصرف؟ وما أثر نشوء علم غريب الحديث في إغناء المعجم العربي؟ وكيف شكلت البلاغة النبوية نموذجا مؤسسا للأسلوب العربي؟ وما إمكانية توظيف هذه المادة اللغوية في تعليم العربية المعاصر؟

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة الى تحقيق جملة من الاهداف، اهمها: الكشف عن الأبعاد اللغوية والبيانية الكامنة في الأحاديث النبوية الشريفة، وبيان دور السنة النبوية في حفظ الفصحى واغناء مفرداتها، وتحليل نماذج مختارة من الأحاديث النبوية تحليلا لغويا يوضح تحول دلالات بعض الألفاظ واتساعها، وإبراز إسهام الحديث النبوي في تقعيد علمي النحو والصرف، ودراسة نشأة

علم غريب الحديث وصلته بالمعجم العربي، وتحليل السمات البلاغية والاسلوبية في الخطاب النبوي، واقتراح آليات لتوظيف الحديث النبوي في تعليم اللغة العربية في العصر الراهن.

أهمية الدراسة

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من كونها تعالج موضوعا يجمع بين أصالة التراث وحاجة الواقع المعاصر، إذ تعيد الاعتبار للسنة النبوية بوصفها مصدرا لغويا أصيلة إلى جانب كونها مصدرا تشريعيا، وتفتح افقا بحثيا جديدا يمكن أن يفيد منه الباحثون في الدراسات اللغوية والشرعية على حد سواء، كما تسهم في تعزيز الصلة بين اللغة العربية والسنة النبوية، وترسيخ الهوية اللغوية والثقافية للامة، لا سيما في زمن تتعرض فيه اللغات التراثية لضغوط العولمة والتغريب.

منهج الدراسة

تعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي اساسا، مع الاستفادة من المنهج التاريخي في تتبع تطور بعض المفاهيم والمصطلحات عبر العصور. وتوظف الدراسة في تحليل النصوص مفهوم السياق اللغوي والمقامي، وهو من المفاهيم الأصيلة في التراث العربي، ولا سيما في دراسة الدلالة، إذ لا يقتصر فهم اللفظ على معناه المعجمي المجرد، بل يتحدد ويتسع بحسب السياق الذي يرد فيه من حيث المتكلم والمخاطب ومقتضى الحال. ومن خلال هذا المفهوم الاجرائي تحلل الدراسة نماذج مختارة من الأحاديث النبوية، وتتبع تحول بعض المفردات واتساع دلالاتها، خصائص التراكيب والأساليب، مستفيدة من كتب الحديث وشروحه، وكتب غريب الحديث، وكتب النحو والصرف والبلاغة.

الدراسات السابقة

تتوزع الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع هذا البحث على اتجاهين رئيسيين؛ اتجاه أول اهتم بدراسة السنة النبوية من الزاوية الحديثية المحضة، متمثلا في كتب علوم الحديث ومصطلحه، وقد اثرى هذا الاتجاه معرفتنا بضوابط ثبوت النص النبوي دون أن يتوسع في بعده اللغوي.

واتجاه ثان اهتم بدراسة غريب الحديث تحديداً، كما فعل أبو عبيد القاسم بن سلام وابن الأثير، وقد ركز هذا الاتجاه على شرح المفردات النادرة دون أن يقدم إطاراً تحليلياً شاملاً يجمع بين المفردات والأساليب والدلالات في آن واحد. وتأتي هذه الدراسة لتسد هذه الفجوة عبر الجمع بين هذين الاتجاهين في إطار تحليلي متكامل يفيد من مفهوم السياق اللغوي بوصفه أداة إجرائية حديثة. ويضاف الى ذلك اتجاه ثالث برز في العقود الأخيرة، تمثل في دراسات الأسلوبية و التحليل اللساني للخطاب الديني، وقد حاول أصحاب هذا الاتجاه تطبيق أدوات اللسانيات الحديثة على النص النبوي، غير أن هذه المحاولات ظلت في الغالب جزئية ومحدودة النطاق، إذ اقتصرت على نماذج معدودة من الأحاديث دون أن تقدم رؤية شاملة تغطي المستويات الثلاثة، المعجمي والأسلوبي والدلالي، في إطار واحد متكامل. وتتميز الدراسة الحالية عن هذه المحاولات السابقة بمحاولة الجمع بين عمق التراث اللغوي العربي القديم، ممثلاً في كتب النحو والبلاغة وغريب الحديث، وبين المفاهيم الإجرائية الحديثة في تحليل الخطاب، ممثلة في مفهوم السياق اللغوي والمقامي، بما يحقق تكاملاً منهجياً يخدم الهدف البحثي المنشود.

المحور الأول: السنة النبوية مرجعاً لغوياً وتفسيرها

من الملاحظ أن كثيراً من الكتابات الأدبية والمقالات التي أعدها الأدباء المخضرمون وتلامذتهم قد اتخذت من الأحاديث النبوية مسنداً ومصدراً في بحث قضايا اللغة العربية. وقد تطورت علوم الرواية منذ القرن الأول والثاني الهجريين، فظهرت مفاهيم الإسناد والجرح والتعديل والعلو والنزول والتحمل والأداء، وانتجت هذه العلوم ثقافة ضبط لفظي غير مسبقة في التراث الإنساني. وقد جعل هذا الضبط الدقيق الحديث النبوي مادة لغوية موثوقة بها، فأصبح الشاهد الثالث بعد القرآن الكريم والشعر الجاهلي في الاحتجاج اللغوي.

ويؤكد الامام الشافعي المتوفى سنة أربعمئة للهجرة، وهو الصحيح مائتين وأربع للهجرة، في كتابه الرسالة³، أن معرفة لسان العرب شرط لازم لفهم الكتاب والسنة معاً، وأن السنة حجة بينة

³ الشافعي، محمد بن إدريس. (ت 204هـ). الرسالة. القاهرة: دار الفكر العربي، ط. 2001.

واضحة لكتاب الله، محمولة على قوانين العربية وقواعدها لا تخرج عنها. كما بين علماء المصطلح جواز الرواية بالمعنى بشروط محددة، وهو ما فتح باباً واسعاً للمترادفات والمقاربات الدلالية في التعبير عن المعنى الواحد بألفاظ متعددة، غير أن هذا الباب ظل محكوماً بميزان الفصاحة ومراعاة السياق، فحفظت العربية بذلك بين نمطين من الرواية، رواية باللفظ وهي الأصل المعتمد، ورواية بالمعنى وهي المقيدة بشروطها الدقيقة.

ومن أوائل من عنوان بيان دلالات الألفاظ النبوية أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة أربع وعشرين ومائتين للهجرة، إذ قرر في كتابه غريب الحديث إن معرفة الألفاظ النبوية ضرورة علمية لحفظ دلالة العربية من الضياع والتحريف. بينما أرخص ابن قتيبة⁴ المتوفى سنة ست وسبعين ومائتين للهجرة في كتابه تأويل مختلف الحديث إلى أن الأحاديث النبوية تكشف عن تنوع دلالي ومعجمي يعكس اتساع العربية وقدرتها على التوليد والابتكار.

كما انطلق السيوطي المتوفى سنة إحدى عشرة وتسعمائة للهجرة في كتابه المزهري في علوم اللغة إلى أن الأحاديث النبوية مصدر أساسي من مصادر الشواهد اللغوية التاريخية إلى جانب القرآن الكريم والشعر، بل إن بعض الألفاظ النبوية لا يمكن تفسيرها إلا بالرجوع إلى علوم العربية المتخصصة.

ومن بين الآراء المهمة في هذا السياق ما شدد عليه ابن هشام الأنصاري المتوفى سنة إحدى وستين وسبعمائة للهجرة في كتابه مغني اللبيب⁵، من أن الحديث الشريف شاهد نحوي معتبر ولساني معجمي، مستدلاً به في أبواب رفع الفاعل ونصب المفعول وغيرهما من أبواب النحو.

في العصر الحديث يؤكد الشيخ أحمد شاکر المتوفى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف للهجرة، في تحقیقاته لكتب الحديث، أن ضبط الرواية باللفظ حافظ على نقاء العربية وصفائها عبر

⁴ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. (ت 276هـ). تأويل مشكل الآثار. بيروت: دار الكتب العلمية، ط. 1983.

⁵ ابن هشام الأنصاري. (ت 761هـ). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. القاهرة: دار الفكر العربي، 1987.

القرون، بينما ذهب المفكر طه عبد الرحمن في دراساته المعاصرة سنة ألفين وستة إلى أن جوامع الكلم النبوي تمثل نموذجا ممتازا للعلم اللغوي الإسلامي القائم على الاقتصاد في اللفظ والأحكام في المعنى.

وبناء على ما تقدم، لا تنحصر السنة النبوية في كونها مصدرا تشريعا فحسب، بل هي مرجعية لغوية ونحوية وبلاغية، حافظت على هوية العربية عبر القرون والعصور، وما زالت مرجعا و موردا أساسيا في الدرس الأكاديمي الحديث الراهن.

المحور الثاني: الحديث النبوي و تقعيد النحو والصرف

تحمل نصوص الحديث النبوي شواهد نحوية وصرفية استند إليها كبار النحاة في بناء قواعدهم منذ العصور الأولى. فقد استشهد سيبويه في كتابه الكتاب⁶ بأحاديث نبوية عدة، ومن ذلك حديث: ليس من البر الصيام في السفر، وهو شاهد على عمل ليس في الخبر، وعلى تعلق الجار والمجرور به، مع دلالة من الزائدة في سياق النفي على عموم الجنس. كما استشهد النحاة بقوله صلى الله عليه وسلم: كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع، حيث جاءت الباء زائدة للتوكيد بعد كفى، فصار هذا التركيب مثالا دالا على باب الجار الزائد في العربية.

وفي باب النهي والدلالة الصرفية، جاء قوله صلى الله عليه وسلم: لا يبولن أحدكم في الماء الدائم، جامعا بين لا الناهية وتوكيد الفعل بنون التوكيد الثقيلة، مع دلالة وصف الدائم في مقام الاحتراز والاحتياط. ومن الشواهد البارزة أيضا حديث: إنما الأعمال بالنيات، الذي يدل على صيغة القصر والإيجاز، إذ أن إنما تفيد الحصر، والأعمال معرفة بأل الدالة على الاستغراق، مما جعله أصلا أساسيا في باب القصر البلاغي ودلالة العموم. ومن باب الجملة الاسمية الموجزة، ورد قوله

⁶ سيبويه. (ت 180هـ). الكتاب في النحو. تحقيق: محمد عبد الله دراز. القاهرة: دار المعرفة، 1990.

صلى الله عليه وسلم: الدين النصيحة، وهو مثال نموذجي على الجملة المعرفة الطرفين، بما يفيد قصر الجنس على المسند إليه، و يؤسس لنظرية الإيجاز البليغ في الخطاب النبوي.

وقد سار العلماء المتأخرون على هذا النهج ذاته، فأثبت ابن هشام في مغني اللبيب شواهد حديثية عدة في أبواب العمل والحروف، دلالة ما الكافة وأن المخففة من الثقيلة، كما أشار ابن مالك⁷ المتوفى سنة اثنتين وسبعين وستمائة للهجرة في التسهيل والالفيه إلى أهمية الشواهد الحديثية في باب الأعمال والإلغاء، وعدت السنة النبوية مادة تطبيقية مهمة لفهم الاشتقاق وبنية الكلمة، كما هو ظاهر في كتاب الصاحب في فقه اللغة لابن فارس. وتظهر هذه النصوص والشواهد أن السنة النبوية تميزت بطريقة لغوية متكاملة بأسلوب بلاغي رفيع في النص الديني، بل شاركت مع القرآن الكريم والشعر الجاهلي في تأسيس قواعد النحو والصرف، وحافظت على أصالة العربية عبر مختلف العصور والقرون.

المحور الثالث: السنة ومعاجم العربية، نشأة غريب الحديث و إغناء المعجم

لا تزال علوم الحديث ترفد اللغة العربية برافد معجمي اصيل، تجلى فيما عرف بغريب الحديث، إذ كانت غايته الاولى شرح الألفاظ النادرة وربطها بأصولها في السياق الحضاري الذي وردت فيه. وقد احتشد حول هذا العلم كبار العلماء، فكونوا معاجم توازي ذخائر اللغة الكبرى، تجمع بين الدلالة والاشتقاق والسياق التداولي، حتى وصفه ابن خلدون⁸ المتوفى سنة ثمان وثمانمائة للهجرة أنه من أدق ما وضع في بابيه من العلوم. وقد رجحت هذه الجهود العلمية في تأسيس معجم لغوي حديثي يوازي معاجم اللغة الكبرى، مثل كتاب العين للخليل بن أحمد المتوفى سنة سبعين ومئة للهجرة، وكتاب الصحاح للجوهري المتوفى سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة للهجرة.

⁷ ابن مالك، جمال الدين. (ت 672هـ). الألفية في النحو والصرف. بيروت: دار صادر، 1992.

⁸ ابن خلدون، عبد الرحمن. (ت 808هـ). المقدمة. القاهرة: دار الفكر، 1983.

ومن ثم صار النص النبوي منبعاً للمصطلح المعياري الذي انتقل إلى حقلَي الفقه واللغة معاً، ويكفي في هذا المقام الاستشهاد بقوله صلى الله عليه وسلم: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، وهو الحديث الذي أسس لمفهوم الخيار في المعاملات، وجعل منه مصطلحاً فنياً ولغوياً راسخاً في العربية إلى يومنا هذا. ومن الأمثلة الدالة على غموض بعض الألفاظ وحاجتها إلى التفسير لفظة النسخة، الواردة في قوله صلى الله عليه وسلم: ليس في النخعة صدقة⁹، وقد نقل ابن الأثير في تفسير معناها أقوالاً متعددة، فقليل هي الرقيق، وقليل هي كل دابة استعملت، وقليل هي البقر العوامل، وقال الفراء إن النخعة أن يأخذ المصدق ديناراً بعد فراغه من الصدقة.

ويلاحظ في هذا المثال كيف اختلف اللغويون في تحديد معنى لفظة واحدة، وذهبوا في تفسيرها مذاهب شتى، وما ذلك إلا الغموض أصل اللفظة وعدم وجود تفسير صريح منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم لها، فراح كل عالم يحاول أن يثبت وجهة نظره بالاستناد إلى معطيات اللغة والسياق. وهذا الاختلاف في ذاته يصب في مصلحة البحث العلمي اللغوي وينشطه، إذ يحفز عملية التفكير والتحليل والاجتهاد، ويسهم في إثراء اللغة العربية بمعان جديدة تنفرد عن اللفظة الواحدة.

وبالمثل، فإن حديث لا ضرر ولا ضرار، وهو حديث رواه الإمام مالك في الموطأ وغيره، قد صار قاعدة فقهية ولسانية علمية في آن واحد، تولدت منه اشتقاقات ومعان جديدة من الجذر ضرر في الاستعمال الحقوقي والاجتماعي المعاصر. كما استنبطت الصيغ النبوية الموجزة في صياغة أمثال معيارية سائرة، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: اليد العليا خير من اليد السفلى،

⁹ جاء في فتح الباري لابن حجر، كتاب الجهاد، باب: (قَوْلُهُ بَابُ مَا ذُكِرَ مِنْ دِرْعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَصَاهُ وَسَيْفِهِ وَقَنْدَحِهِ وَخَاتَمِهِ وَمَا اسْتَعْمَلَ الْخُلَفَاءُ بَعْدَهُ مِنْ ذَلِكَ) (215/6): أَخْرَجَ الْخَطَّابِيُّ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ مِنْ طَرِيقِ عَطِيَّةَ عَنْ بَنِ عُمرَ قَالَ بَعَثَ عَلِيٌّ إِلَى عُثْمَانَ بِصَحِيفَةٍ فِيهَا لَا تَأْخُذُوا الصَّدَقَةَ مِنَ الرِّزَّةِ وَلَا مِنَ النَّخْعَةِ. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: النَّخْعَةُ بَنُونٌ وَمُعْجَمَةٌ أَوْلَادُ الْغَنَمِ وَالرَّقَّةُ بَرَاءٌ وَمُعْجَمَةٌ أَيْضًا أَوْلَادُ الْإِبِلِ. انْتَهَى قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: "وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ لَكِنَّهُ مِمَّا يُحْتَمَلُ". وقال في تلخيص الحبير: "إسناده ضعيف." 350/2. النهاية، مادة (نخخ) 31/5 غريب الحديث القاسم بن سلام 7/1 جمهرة اللغة ابن دريد، 622/1.

وقوله: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، وهذه الامثال قد تحولت عبر الزمن الى موارد بلاغية تستدعي في الخطاب الأدبي والوعظي والصحفي حتى يومنا هذا.

المحور الرابع: البلاغة النبوية وبناء الأسلوب العربي

يمثل القول النبوي اليوم نموذجاً بلاغياً في بناء الأسلوب العربي، فقد جمعت النصوص النبوية بين الإيجاز والاعجاز، فغدت رافداً أصيلاً للغة العربية ومرجعاً أساسياً للأدب والنقد. وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذروة الفصاحة بعد القرآن الكريم، حتى وصف نفسه بقوله: أوتيت جوامع الكلم، وهي الألفاظ القليلة الجامعة للمعاني الكثيرة، مما جعل بيانه صلى الله عليه وسلم يتفوق على فصحاء العرب في زمانه، ويشكل أفقاً معرفياً وسياقاً ثقافياً مغايراً.

وتتجلى هذه الفصاحة في روائع جوامع الكلم، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: يسروا ولا تعسروا، الذي يجمع بين والمقابلة والجناس والإيقاع الصوتي المتوازن، وفي تشبيهه التمثيلي: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، حيث تتحول الفكرة المجردة إلى صورة حسية مؤثرة تقرب المعنى إلى الذهن. وفي قوله: الطهور شطر الإيمان، تكشف بلاغة القصر والإيجاز عن قدرة الخطاب النبوي على تكثيف المعنى في أقل عدد ممكن من الألفاظ.

وعلى مستوى المعاني أعاد النبي صلى الله عليه وسلم صياغة مدلولات مألوفة مأنوسة عند العرب، فجعل المفلس من يأتي يوم القيامة محملاً بالذنوب رغم كثرة عبادته، خلافاً بالمعنى المتداول عند العرب الذي يحصر الإفلاس في نفاذ المال، ويميز بين الغيبة والبهتان بتمييز دقيق يخدم الدلالة الأخلاقية للفظتين، ووسع دلالة الرقوب والصرعة لتصبح مرتبطة بالبعد الأخلاقي لا بالتصور الجاهلي القديم الذي كان يربطهما بالمعنى الحسي المحض. وعلى مستوى المفردات، أتى النبي صلى الله عليه وسلم بألفاظ مبتكرة، من ذلك لفظة المخيلة، وظهر معناها ببيان موجز واضح يخدم المقصد الأخلاقي من الحديث.

وقد أثبت النقاد المتقدمون هذه القيمة البلاغية للحديث النبوي، فاستشهد عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز¹⁰ ببلاغة الحديث، وجعله ابن الأثير في كتابه المثل السائر نموذجاً مثالياً تعليمياً يحتذى به في تعليم صناعة الكتابة، فيما أكد القاضي عياض في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى إن فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل عن صفاء القرآن من حيث اللغة والتركيب.

وفي العصر الحديث، عد المفكر أمين الخولي البلاغة النبوية باعثاً محرضاً للأدب العربي على الإيجاز والإقناع، بينما رأى الناقد محمد أبو موسى إن الحديث النبوي يمثل نصاً نقدياً سبق مناهج الأسلوبية الحديثة في تحليل الخطاب. وهكذا تكرست البلاغة النبوية مرجعاً لغوياً وأدبياً مهماً في تهذيب الذائقة العربية، وتأسيس معيار الإيجاز المعبر، حتى أصبحت الأحاديث الشريفة معينا لا ينضب للغويين والبلاغيين والخطباء والكتاب في بناء الأسلوب العربي عبر العصور المتعاقبة.

المحور الخامس: اتساع الدلالة في الألفاظ النبوية، دراسة تطبيقية في مفهوم السياق

يقوم مبدأ السياق اللغوي والمقامي على أساس أن اللفظة الواحدة لا تحمل معنى ثابتاً مجرداً معزولاً عن ظروف ورودها، بل يتحدد معناها الدقيق بحسب المتكلم والمخاطب والزمان والمكان ومقتضى الحال. وقد وظف علماء العربية هذا المفهوم منذ القدم في تحليل النصوص القرآنية والحديثية، وهو ما يظهر جلياً في تفاسير غريب الحديث حين يورد العلماء أكثر من معنى للفظ الواحدة بحسب اختلاف السياقات التي وردت فيها.

ومن النماذج التطبيقية على هذا الاتساع الدلالي، لفظة الصبر التي وردت في القرآن والحديث بمعان متعددة، منها الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، والصبر على المصيبة، فاتسعت دلالتها لتشمل حقولاً أخلاقية ونفسية متعددة تجاوزت المعنى المعجمي المجرد المتمثل في الحبس والإمساك. كذلك لفظة الإيمان التي انتقلت في الاستعمال النبوي من الدلالة اللغوية المحضة

¹⁰ الجرجاني، عبد القاهر. (ت 471 هـ). دلائل الإعجاز. بيروت: دار الكتب العلمية، 1981.

المتمثلة في التصديق، الى دلالة اصطلاحية شرعية جامعة تضم القول والعمل والاعتقاد، وهو انتقال دلالي رسخته النصوص النبوية عبر تكرار استعمالها في سياقات متنوعة.¹¹

ومن الامثلة البارزة ايضا لفظة المسكين التي اكتسبت في السياق النبوي دلالة اجتماعية دقيقة تميزها عن الفقير، كما في حديث: ليس المسكين الذي يطوف على الناس، ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس، وهذا التعريف النبوي الدقيق اعاد صياغة المفهوم الاجتماعي للمسكنة بما يخدم مقاصد التشريع، واثرى المعجم العربي بدلالة اصطلاحية جديدة لم تكن معروفة بهذه الدقة في الاستعمال الجاهلي.¹²

ويظهر من هذه النماذج أن الحديث النبوي لم يكتف بنقل الالفاظ العربية كما هي، بل اعاد تشكيل دلالاتها احيانا، ووسع حقولها الدلالية احيانا اخرى، بما ينسجم مع مقاصد الرسالة الاسلامية، وهو ما يفسر ثراء المعجم العربي المعاصر بكثير من المصطلحات ذات الجذور النبوية.

المحور السادس: توظيف الحديث النبوي في تعليم العربية المعاصر

يكشف أهمية استثمار المادة اللغوية النبوية في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بها و للناطقين بغيرها على حد سواء، وذلك لما تتميز به هذه المادة من إيجاز لفظي، ووضوح تركيب، وثراء دلالي، يجعلها نموذجا تعليميا مناسباً لمختلف المستويات. فمن الناحية النحوية، يمكن الاستفادة من الأحاديث القصيرة الجامعة، كحديث إنما الأعمال بالنيات، وحديث الدين النصيحة، في تدريس أبواب القصر والحصر والجملة الاسمية، لما تتسم به هذه النصوص من قصر وسهولة حفظ.

¹¹ ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (1399هـ/1979م). النهاية في غريب الحديث والأثر (تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي). المكتبة العلمية.

¹² الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (1998). الفائق في غريب الحديث (تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية). دار المعرفة.

ومن الناحية المعجمية، يمكن توظيف كتب غريب الحديث في تدريب الدارسين على مهارات البحث المعجمي و استنتاج المعنى من السياق، وهي مهارة أساسية في تعليم اللغات عموماً. ومن الناحية البلاغية، تصلح النصوص النبوية الجامعة للكلم نموذجاً لتدريس فنون التشبيه والاستعارة والكناية والقصر، لما تحمله من صور بيانية مكثفة يسهل استيعابها لوضوحها وقربها من الذهن. ومن الناحية القيمية، فإن توظيف هذه النصوص في التعليم يجمع بين الفائدة اللغوية والفائدة التربوية الأخلاقية، بما يخدم أهداف التعليم المتكامل الذي يسعى إلى بناء الإنسان لغوياً وسلوكياً في آن واحد¹³.

وتتطلب عملية التوظيف هذه إعداد مواد تعليمية منهجية تصنيف الأحاديث النبوية بحسب المستوى اللغوي والموضوع النحوي والبلاغي المستهدف، مع مراعاة السياق التاريخي والحضاري الذي ورد فيه كل حديث، بما يضمن فهماً دقيقاً لا يقع في تحريف المعنى أو اجتزاء عن سياقه الأصلي.

المحور السابع: السنة النبوية وتوحيد الفصحى في بيئة تعدد اللهجات

عرفت الجزيرة العربية قبيل البعثة النبوية وبعدها تعدداً لهجياً واضحاً بين القبائل، فقد كان لكل قبيلة خصائصها الصوتية والصرفية والمعجمية التي تميزها عن غيرها، من ذلك اختلاف قريش وتميم في مسائل الإعراب و الإدغام والإبدال، واختلاف الحجازيين والتميميين في نطق الهمزة وتسهيلها. وفي ظل هذا التنوع اللهجي كانت الحاجة ماسة إلى لغة معيارية جامعة تتجاوز الفوارق القبلية، وقد اضطلع القرآن الكريم بهذا الدور أولاً، ثم جاءت السنة النبوية لتعزيز هذا التوجه وترسيخه في الاستعمال اليومي والتعليمي.

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي نشأ في قريش واسترضعت في بني سعد، يمثل بلسانه نموذجاً جامعاً يوازن بين فصاحة قريش ومتانة لهجات البادية، مما جعل خطابه معياراً

¹³ طعيمة، رشدي أحمد، ومناق، محمد السيد (2006). تدريس العربية في التعليم العام: نظريات وتطبيقات.

لغويا يحتذيه الصحابة القادمون من قبائل مختلفة. وقد اعتمدت السنة النبوية آليات متعددة في ترسيخ هذا المعيار اللغوي، منها آليات الضبط الصوتي والكتابي التي حرص عليها الرواة، ومجالس السماع والمناولة التي كانت تعقد لتلقي الحديث وضبط ألفاظه حرفا حرفا، ورحلات الطلب التي كان يقطع فيها طلاب الحديث مسافات طويلة للتثبت من صحة اللفظ عند أصحابه مباشرة. وقد أرست هذه الممارسات نسقا تعليميا شفهيا وكتابيا في آن واحد، مكون من صيانة النطق العربي المعياري، وحال دون ذوبان الفصحى في اللهجات المحلية المتعددة¹⁴.

ولم يقتصر أثر السنة في هذا الجانب على الحفاظ على النطق الصحيح فحسب، بل امتد الى ترسيخ مصطلحات اجرائية دقيقة ذات بنية صرفية واضحة، كالوضوء والتميم والزكاة والصلاة والصيام، وهي ألفاظ كانت موجودة في اللغة قبل الإسلام بمعان عامة، فجاءت السنة وتحدد لها دلالات اصطلاحية دقيقة، وتضبط صيغها الصرفية بما يجعلها معيارا لغويا وتشريعا احتكم إليه النحويون واللغويون على اختلاف عصورهم، من سيبويه في القرن الثاني الهجري الى ابن منظور صاحب لسان العرب المتوفى سنة احدى عشرة وسبعمئة للهجرة. ومن هنا تبين السنة النبوية، في بعدها اللغوي والبياني، انها مثلت مختبرا معرفيا متجددا أسهم في حفظ الفصحى، وصياغة علومها، وترسيخ هويتها الحضارية عبر مختلف العصور والأجيال، بما يفسر استمرار حضورها المرجعي في الدرس اللغوي حتى يومنا هذا¹⁵.

الخاتمة والنتائج

توصلت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج، أهمها أن السنة النبوية لم تكن مصدرا للتشريع فحسب، بل شكلت رافدا أساسيا في صيانة اللغة العربية وحفظ صحاها من التشتت اللهجي في بيئة اتسمت بتعدد اللهجات العربية القديمة. وقد ساهمت السنة في إغناء المعجم العربي عبر نشوء علم غريب الحديث الذي وازى في أهميته معاجم اللغة الكبرى، كما أسهمت في ترسيخ أساليب

¹⁴ الراجحي، عبده (1998). لهجات العرب في القراءات القرآنية.

¹⁵ الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد (1998). المكتفى في الفواصل والإبتداء

التعبير العربي عبر نماذج جوامع الكلم التي جمعت بين الإيجاز والاحكام. وقد أثبتت الدراسة أيضا أن السنة النبوية وسعت دلالات كثير من الألفاظ العربية، وإعادة صياغة بعض المفاهيم الاجتماعية والاخلاقية بما يخدم مقاصد الرسالة الإسلامية، كما ساهمت في تقعيد علمي النحو والصرف عبر شواهدها الكثيرة التي استند إليها كبار النحاة منذ سيبويه حتى ابن هشام وما بعده. وتفتح الدراسة في نهاية المطاف أفقا لتوظيف هذه المادة اللغوية الغنية في تعليم العربية المعاصر، بما يجمع بين أصالة التراث وفاعلية المناهج التعليمية الحديثة.

وتخلص الدراسة إلى طرح سؤال منهجي يستحق مزيدا من البحث والتأصيل: هل يبقى بعد كل هذه الشواهد اللغوية والبلاغية والمعجمية مجال لاختزال الحديث النبوي في بعده التشريعي وحده؟ إن السؤال الجدير بالطرح اليوم ليس هل أثرت السنة في اللغة العربية، فذلك أمر ثابت بالادلة التاريخية والنصية، بل السؤال الاجدى هو كيف يمكن صون هذا الأثر من التلاشي في زمن يتسارع فيه مد التغريب والرقمنة على حساب اللغات التراثية العريقة.

المراجع

1. Blachère, R. (1960). Introduction à la lecture du Coran. Paris: Librairie Orientaliste Paul Geuthner.
2. البخاري، محمد بن اسماعيل. صحيح البخاري. القاهرة: دار الحديث.
3. مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. القاهرة: دار الحديث.
4. مالك بن انس. الموطأ. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
5. الشافعي، محمد بن ادريس. الرسالة. القاهرة: دار الفكر العربي، طبعة الفين وواحد.
6. أبو عبيد، القاسم بن سلام. غريب الحديث. بيروت: دار الكتب العلمية.
7. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. تأويل مختلف الحديث. بيروت: دار الكتب العلمية، طبعة ألف وتسعمائة وثلاث وثمانين.
8. ابن هشام الانصاري. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب. القاهرة: دار الفكر العربي، ألف وتسعمائة وسبع وثمانين.
9. سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب في النحو. تحقيق محمد عبد الله دراز. القاهرة: دار المعرفة، ألف وتسعمائة وتسعين.
10. ابن مالك، جمال الدين. الالفية في النحو والصرف. بيروت: دار صادر، ألف وتسعمائة واثنين وتسعين.
11. ابن فارس، احمد. الصحابي في فقه اللغة. بيروت: دار الكتب العلمية.
12. ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة. القاهرة: دار الفكر، ألف وتسعمائة وثلاث وثمانين.
13. ابن الأثير، مبارك بن محمد. النهاية في غريب الحديث والأثر. بيروت: المكتبة العلمية.
14. ابن الأثير، ضياء الدين. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. القاهرة: دار نهضة مصر.
15. الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. بيروت: دار الكتب العلمية، ألف وتسعمائة وواحد وثمانين.
16. السيوطي، جلال الدين. المزهرة في علوم اللغة وأنواعها. القاهرة: دار الكتب المصرية، ألف وتسعمائة وتسعين وستين.
17. القاضي عياض. الشفا بتعريف حقوق المصطفى. بيروت: دار الفكر.
18. ابن حجر العسقلاني. فتح الباري بشرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة.
19. الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد (1998). المكتفى في الفواصل والإبتداء.
20. الراجحي، عبده (1998). لهجات العرب في القراءات القرآنية.

الطب النبوي في إثراء العلاجات العقلية والجسدية

دراسة معقدة بين العلاجات الإسلامية والعلاجات الحديثة البديلة

الملخص

العالم كلها في سريع الخطى والمتطور، خذت السعي وراء الصحة والعافية عقلية وجسدية وبينما الناس يسعون لتحقيق نهج شامل رافعة رفاهية، حتى كشفت العلاجات البديلة في الصحة والطب كخيارات مثيرة للاهتمام الممارسات عقلية وجسدية كما هن التأمل واليوغا والتخيل الموجه توفقت مع دمج الأساليب الروحية في الطب النبوي مثل الصلاة والذكر والصيام ورغم ذلك الناس يعيشون بين الاضطراب من إباحة هذه الممارسات الحديثة، لذا يعالج هذا البحث لملء هذه الفجوة التي لم يملأها الباحثون.

الدراسة تعالج إلى استكشاف موسوعة الطب النبوي في إثراء العلاجات العقلية والجسدية وهي دراسة مقارنة بين العلاجات الإسلامية والعلاجات الحديثة البديلة. كيفية تفاعل هذه الأساليب مع أحدث التقنيات العلاجية، مما يوفر قاعدة معرفية شاملة لبحث فعالية تكامل الطب النبوي مع العلاجات البديلة المعاصرة، كما حاول البحث عن مفاهيمه وخصائصه الهائلة مع دمج هذين المنهجين.

تظهر النتائج أن كلا المنهجين يقدمان فوائد ملموسة، مما يفتح آفاقاً جديدة للتعاون بين الطب النبوي والطب البديل لتحقيق شفاء شامل.

الكلمات المفتاحية: الطب النبوي، الطب البديل، العلاج العقلي والجسدي، الأساليب الصحية، والممارسات الحديثة.

المقدمة

في خضم التطورات السريعة التي يشهدها العالم المعاصر، يظل موضوع الصحة والعافية في قلب اهتمامات الأفراد والمجتمعات. يتجه العديد من الناس نحو البحث عن طرق علاجية شاملة تجمع بين الروحانية والعلوم الحديثة، مما يعكس سعيهم لتحقيق توازن بين العقل والجسد. وفي هذا السياق، يحتل الطب النبوي مكانة بارزة، حيث يقدم مجموعة من العلاجات المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، التي أثبتت فعاليتها عبر العصور¹⁶.

يستند هذا البحث إلى فرضية أن الطب النبوي يمكن أن يُثري العلاجات العقلية والجسدية من خلال دمجها مع العلاجات الحديثة البديلة. تهدف الدراسة إلى استكشاف كيفية تفاعل الممارسات الروحية مثل الصلاة والذكر والصيام مع الأساليب الحديثة مثل التأمل واليوغا، ومدى تأثير هذا التكامل على الصحة العامة.

لتحقيق هذه الأهداف، سيتم استخدام منهجية تحليلية تعتمد على استعراض الأدبيات العلمية والنصوص الشرعية ذات الصلة، بالإضافة إلى إجراء دراسات حالة لفحص الفوائد العملية للدمج بين الطب النبوي والعلاجات البديلة. ستتضمن الدراسة أيضاً استبيانات ومقابلات مع ممارسين في كلا المجالين لجمع البيانات حول تجاربهم ورؤاهم.

مفهوم الطب النبوي في العلاجات العقلية والجسدية

الطب النبوي هو نظام علاجي يستند إلى التعاليم والأحاديث النبوية التي وردت عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم. يتضمن هذا النظام مجموعة من الممارسات الطبية والعلاجية التي تُعزز من الصحة العقلية والجسدية، وتعتمد على مجموعة من الأعشاب الطبيعية والتوجيهات الروحية والنفسية¹⁷.

¹⁶ موسوعة الطب النبوي ج 1. أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق أبو نعيم الإصفهاني غير متاح موسوعة الطب النبوي ابن القيم الجوزية.

¹⁷ منتقى من (شفاء الأسقام بالطب النبوي الأصل بين النظرية والتطبيق) من تراثنا ثقافية، ابن القيم الجوزية. (1998). الطب النبوي. القاهرة: دار الفكر.

العلاجات العقلية

تتضمن العلاجات العقلية في الطب النبوي أساليب متعددة تهدف إلى تحسين الصحة النفسية، ومنها:

- **الدعاء والذكر:** يُعدّ الدعاء وسيلة قوية للتخفيف من القلق والتوتر، حيث يُشعر الشخص بالطمأنينة. قال الله تعالى: "أدعوني أستجب لكم"¹⁸.
- **التأمل والتفكير:** يُحثّ على التأمل في آيات الله، مما يُساعد على تهدئة النفس وتحقيق الاستقرار الداخلي.
- **الاستغفار:** يعتبر الاستغفار علاجاً نفسياً فعالاً لتفريغ الضغوط والشعور بالراحة، كما ورد في الحديث: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً"¹⁹.

العلاجات الجسدية

تتضمن العلاجات الجسدية في الطب النبوي مجموعة من الأساليب الطبيعية:

- **الأعشاب والنباتات:** استخدام أعشاب مثل الحبة السوداء والزنجبيل والعسل، حيث ورد في الحديث: "في الحبة السوداء شفاء من كل داء"²⁰.
- **التغذية السليمة:** يشمل تناول الطعام الحلال والطيب، والابتعاد عن المحرمات، مما يُعزز الصحة العامة.
- **تنقية الجسم:** يشجع الطب النبوي على استخدام الحميات والعلاج بالاستفراغ لتحسين الحالة الصحية.

العلاجات البديلة في الصحة والطب العقلية وجسدية: دعوة إلى الوعي

¹⁸ سورة غافر، 60

¹⁹ حديث رقم (1518) سنن أبي داود < كتاب الصلاة > باب في الاستغفار حدثنا هشام بن عمار ثنا الوليد بن مسلم ثنا الحكم بن مصعب ثنا محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه أنه حدثه عن ابن عباس أنه حدثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

²⁰ روى البخاري ومسلم في كتاب الطب، وابن ماجه وأحمد وغيرهم من حديث أبي هريرة

في زمننا المعاصر، حيث يتسارع إيقاع الحياة وتزايد التحديات الصحية، أصبح البحث عن طرق جديدة لتعزيز الصحة والعافية ضرورة ملحة. هنا، تبرز العلاجات البديلة كخيارات مثيرة للاهتمام، تأخذنا بعيداً عن المسارات التقليدية نحو آفاق أوسع وأعمق.

صعود العلاجات البديلة: تأمل في الرفاهية الشاملة

لقد أظهرت الممارسات الطبية التقليدية منذ عقود طويلة تركيزاً على معالجة الأعراض المحددة، مما أدى إلى تحقيق إنجازات عظيمة. لكن، مع تزايد الوعي وتغير القيم، نجد أن الأفراد يبحثون عن نهج متكامل. وهنا تأتي العلاجات البديلة، المعروفة أيضاً بالعلاجات التكميلية أو التكاملية، لتقدم رؤية شاملة تأخذ بعين الاعتبار الجوانب الجسدية والنفسية والعاطفية والروحية في آن واحد²¹.

أنواع العلاج البديل: عالم متنوع ومشوق

تتعدد العلاجات البديلة، وتجمع بين الحكمة القديمة والابتكارات الحديثة. لنستعرض بعضاً من أبرزها:

- **الوخز بالإبر:** يتيح لنا هذا الفن الصيني العريق استكشاف قوى الشفاء من خلال إدخال إبر رفيعة في نقاط معينة من الجسم، مما يعزز تدفق الطاقة ويقلل من التوتر.
- **الأيورفيدا²²:** يعد هذا النظام الهندي الشامل توازناً دقيقاً بين العقل والجسد والروح، حيث يستخدم الأعشاب الطبيعية، واليوغا، والتأمل لتحقيق الرفاهية الكاملة.
- **العلاج بالمواد الطبيعية:** يعتمد على مبدأ "المثل يعالج المثل"، حيث تُستخدم المواد المخففة لتحفيز استجابات الجسم العلاجية، مما يثير الجدل بين المؤيدين والرافضين.

²¹ ينسون، هارولد. (2018). *The Relaxation Response*. New York: HarperCollins Publishers.

²² (الأيورفيدا بالعربي) (الطب الهندي: "علم شفاء العقل والروح والجسد" حكمة قديمة لحياة معاصرة وحيوية) (Arabic Edition)، بقلم Dr. Lina A. Zalloum

- **العناية بتقويم العمود الفقري:** تسلط هذه الممارسة الضوء على صحة العمود الفقري، باستخدام تقنيات يدوية لتحسين الصحة العامة وتقليل الألم.
- **التأمل واليقظة الذهنية:** تكشف هذه الممارسات عن قوة الوعي اللحظي، مما يساهم في تقليل القلق وتعزيز الصحة النفسية.
- **طب الأعشاب²³:** يستخدم خصائص النباتات الطبيعية لتعزيز الصحة، حيث يقوم المعالجون بإعداد خلطات مخصصة للتعامل مع الحالات الصحية المختلفة.
- **الشفاء بالطاقة:** تتضمن ممارسات مثل Qi Gong و Reiki، التي تستغل مجالات الطاقة لتحقيق التوازن وتعزيز الشفاء، على الرغم من وجود بعض الانتقادات العلمية²⁴.

تأمين صحتك من خلال اتخاذ القرارات المستنيرة

بينما يقدم العلاج البديل فوائد متعددة، من الضروري الاقتراب منه بحذر ووعي. إن الرعاية الشاملة والوقاية من الأمراض أصبحتا من أولويات العديد من الأشخاص. ومع ذلك، يجب علينا أن نكون حذرين، ونستشير المتخصصين قبل البدء في أي علاج جديد.

هل أنتم مستعدون للانطلاق في رحلة الصحة والعافية؟ ابدأوا بخطوة جريئة اليوم، واكتشفوا العلاجات البديلة كخيار لتحسين نوعية حياتكم وصحتكم. احجزوا موعدكم الآن، واستعدوا لاستعادة السيطرة على رحلتك الصحية²⁵!

العلاجات البديلة من اليوجا والعلاج بالتنويم (التنويم) Hypnotherapy.

العلاجات البديلة ليست تنحصر بالأعشاب و الأيورفيدا أنها منحصرة مع التأمل واليوجا والعلاج بالتنويم [Hypnotherapy] أيضا، وفي التالي قد بينهما خاصة مع البيان الراجع..

²³ علاجك من الطبيعة، كتاب في طب النبات والأعشاب، مؤلف: الدكتور عبد الباسط السيد مصطفى الرفاعي

²⁴ العلاج بالوخز بالإبر، مايو كلينك، نقود نقلة نوعية في الرعاية الطبية

²⁵ من التغطية إلى الرعاية الصحية، خطة لرعاية وصحة أفضل

اليوغا هو ممارسة للتخلص من المرض

اليوغا هي شكل من أشكال التمارين القديمة التي تركز على القوة والمرونة والتنفس لتعزيز الرفاهية البدنية والعقلية. وفقًا لخدمات الصحة الوطنية في المملكة المتحدة، تشمل اليوغا سلسلة من الحركات المصممة لزيادة القوة والمرونة، بالإضافة إلى كونها رياضة من رياضات التأمل.

نشأت اليوغا في الهند منذ حوالي خمسة آلاف عام، وتم تكيفها بطرق متنوعة في بلدان أخرى. تشير معظم الدراسات الطبية إلى أن اليوغا تعتبر طريقة آمنة وفعالة لزيادة النشاط البدني، وخاصة في مجالات القوة والمرونة والتوازن.

كما قال ناريندرا مودي اليوغا هو ممارسة اليوجا هو السبيل للتخلص من المرض والتمتع بالصحة والعافية. إن اليوجا تعلمنا أن ننظر للآخرين كما ننظر لأنفسنا تماما و من ثم فإن اليوجا تساعدنا على أن نكون أفضل من حيث الفكر والعمل والعلم والجوانب الروحية. اليوجا هي السبيل لتحقيق وحدة المرء مع النفس والعالم الخارجي، فهي تساعد المرء على الوصول إلى تناغم ووحدة بين العقل والجسد والفكر. كما تساعد اليوجا المرء على فهم نفسه بصورة أفضل وتجعلنا كذلك أكثر قدرة على فهم الآخرين بصورة أفضل²⁶.

توجد عدة أساليب مختلفة من اليوغا، مثل:

- **أشتانغا (Ashtanga):** أسلوب يتطلب ممارسة قوية ومجهد.
- **لينينغار (Iyengar):** يركز على المحاذاة الدقيقة.
- **سيفاناندا (Sivananda):** يجمع بين الحركات والتنفس والتأمل.

²⁶وزارة الأيورفيدا، واليوغا والعلاج الطبيعي والطب اليوناني، وسيدها والمعالجة التجانسية (أيوش)، اليوم العالمي لليوجا، البروتوكول العام لليوجا، ٢١ يونيو

اليوم العالمي اليوجا قد يحتفل سنويا في 21 يونيو في سنة 2015 وبعد إنشائه في الجمعية العام للأمم المتحدة في عام 2014²⁷.

تطور اليوغا

منذ زمن باتانجالي، ساهم العديد من الحكماء ومعلمي اليوغا في تطوير وتعزيز هذا العلم من خلال مجموعة من التدريبات والممارسات الموثقة. انتشرت اليوغا في جميع أنحاء العالم على يد مجموعة من كبار معلمي اليوغا، وأصبح من المؤكد أن ممارستها تسهم في الوقاية من الأمراض وتعزيز الصحة العامة.

تصنيفات اليوغا

تعمل اليوغا على مستويات متعددة تشمل الجسد والعقل والمشاعر والطاقة، مما أدى إلى ظهور أربعة تصنيفات رئيسية:

1. كارما يوجا: تركز على الارتقاء بالنواحي البدنية.
2. جانا يوجا: تهتم بتطوير الجانب الذهني والعقلي.
3. باكتي يوجا: تعمل على تعزيز المشاعر الروحية.
4. كريا يوجا: تركز على الجوانب المتعلقة بالطاقة.

كل نوع من هذه الأنواع يأتي مع مجموعة من الممارسات المميزة، ولا يستطيع تحديد التوليفة المثلى من التدريبات إلا معلم يوغا متخصص. أكدت التعليقات القديمة على ضرورة ممارسة اليوغا تحت إشراف معلم مؤهل لضمان تحقيق الفوائد المرجوة²⁸.

²⁷ اليوم الدولي لليوغا يونيو، من ويب الأمم المتحدة
²⁸ اليوغا.. منهج شامل لتحصيل الصحة والسعادة، من جريدة الأنباء

مدارس اليوغا التقليدية بتنوع الفلسفات والممارسات المرتبطة به

- جانا يوجا: تركّز على المعرفة والتأمل.
- بهاكتي يوجا: تهتم بالحب والتفاني في العبادة.
- كارما يوجا: تركّز على العمل دون انتظار النتائج.
- باتانجالا يوجا: تؤسس لنظام محدد يمارسه العديد من الممارسين.
- هاتا يوجا: تهتم بالتوازن بين الجسم والعقل.
- كونداليني يوجا: تركّز على إيقاظ الطاقة الكامنة في الجسم.
- دهايانا يوجا: تتعلق بالتأمل العميق.
- مانترا يوغا: ترتكز على ترديد عبارات محددة.
- لايا يوغا: تهدف إلى دمج العقل والجسد.
- جاين يوجا: تتبع تعاليم الديانة الجاينية.
- بودها يوجا: تتبع فلسفات بوذية.

تدريبات اليوجا من أجل الصحة والعافية: أنواع رئيسية

- ياما و نياما: تُعتبر الأوضاع الأولية التي تهدف لتحقيق الاستقرار والتوازن بين الجسم والعقل.
- أسانا: الأوضاع الجسدية التي تعزز المرونة والقوة.
- براناياما: تركّز على تقنيات التنفس لزيادة الوعي الذاتي والتحكم في النفس.
- براتياهارا: تشير إلى تخلص الوعي من الإحساس بالمؤثرات الخارجية.
- دهارانا: تشير إلى تركيز العقل.
- دهيانا: هي حالة تأمل عميق.

- سمادهي: حالة من التكامل الروحي.

تفاصيل الأوضاع

- براناياما: تساعد على تحسين القدرة على التنفس وتطوير الوعي العقلي. تتضمن تنظيم حركة الشهيق والزفير، مما يسهم في تعزيز الصحة العامة.
- براتياهارا: تعني التحكم في الحواس والانفصال عن المؤثرات الخارجية.
- دهارانا: تركز على التركيز الذهني، مما يسهل الوصول إلى حالة التأمل.
- دهيانا: هي عملية التركيز العميق التي تقود إلى إدراك الذات.
- سمادهي: هي ذروة الوعي، حيث يتم الشعور بالتكامل مع الكون.

الممارسات المتقدمة

- باندھاس و مودراس: ترتبطان بتقنيات التنفس و تتطلبان أوضاعًا جسدية معينة، مما يعزز السيطرة على العقل.
- شات-كارما: تشمل إجراءات تطهير الجسم من السموم.
- يوكتاھارا: تؤكد على أهمية التغذية السليمة والعادات الغذائية الصحية.
- مانترا جابا: يعتمد على ترديد عبارات معينة لزيادة التركيز وتقليل التوتر.
- يوكتا-كارما: يشجع على القيام بالأفعال الصحيحة في الحياة.

العلاج بالتنويم (التنويم) Hypnotherapy وخصائصه بالصحة والعافية

ما العلاج بالتنويم؟

التنويم المغناطيسي هو حالة متغيرة من الوعي وشعور متزايد بالاسترخاء يُحسن التركيز، ويُطلق عليه أيضًا المعالجة بالتنويم. ويُجرى التنويم المغناطيسي عادةً بتوجيه من الطبيب

باستخدام تكرار لفظي وصور عقلية. أثناء التنويم المغناطيسي، يشعر معظم الأشخاص بالهدوء والاسترخاء، ويصبحون عادةً أكثر تقبلاً لأي إحياء بشأن تغيير السلوكيات. يمكن أن يساعدك التنويم المغناطيسي على التحكم في أي سلوك ترغب في تغييره. وقد يساعدك على التأقلم مع القلق أو الألم على نحو أفضل. ورغم أنك تكون أكثر تقبلاً للإحياءات في جلسة التنويم المغناطيسي، فإنك لا تفقد السيطرة على سلوكك²⁹.

لماذا يتم إجراء ذلك

قد يكون التنويم المغناطيسي طريقة فعالة للتأقلم مع التوتر والقلق، فقد يخفف من الشعور بالتوتر والقلق خصوصاً قبل الخضوع لإجراء طبي، مثل خزعة الثدي.

ويمكن أن يساعد التنويم المغناطيسي الأفراد في:

- **التعامل مع الألم:** مثل الألم الناتج عن الحروق، السرطان، الولادة، ومتلازمة القولون المتهيج.
- **تخفيف هبات الحرارة:** التي تحدث بسبب انقطاع الطمث.
- **تغيير السلوكيات:** مثل مشاكل النوم، التبول في الفراش، التدخين، والإفراط في الأكل.
- **تخفيف الآثار الجانبية لعلاج السرطان:** مثل العلاج الكيميائي والعلاج الإشعاعي.
- **تقليل القلق:** المرتبط بنوبات الهلع والرهاب.

المخاطر والآثار الجانبية

²⁹الرعاية في مايو كلينك {mayo clinic}

على الرغم من أن التنويم المغناطيسي الذي يُجريه طبيب مدرب يُعتبر علاجًا آمنًا، إلا أنه قد لا يكون مناسبًا لبعض الأشخاص، خاصة الذين يعانون من حالات نفسية خطيرة. الآثار الجانبية نادرة ولكن قد تشمل:

- النعاس
- الدوخة
- القلق أو الضيق
- الصداع
- مشكلات النوم
- الغثيان

يجب الحذر عند استخدام التنويم المغناطيسي لعلاج مشاعر مرتبطة بأحداث سابقة، حيث قد يؤدي ذلك إلى تحفيز ردود فعل عاطفية قوية.

ما يمكن توقعه خلال الجلسة

قبل البدء، سيقوم الطبيب بشرح عملية التنويم المغناطيسي ومراجعة الأهداف العلاجية. ستبدأ الجلسة عادةً بصوت هادئ ووصف لصور ذهنية مريحة. عندما تصل إلى حالة من الاسترخاء، سيقترح عليك الطبيب طرقًا لتحقيق أهدافك، مثل تخفيف الألم أو تقليل الرغبة في التدخين.

بعد انتهاء الجلسة، يمكنك الخروج من حالة التنويم بنفسك، أو يمكن للطبيب مساعدتك في استعادة اليقظة بشكل تدريجي. على عكس ما يُظهر في الأفلام، لا يفقد الأفراد السيطرة على أنفسهم أثناء التنويم المغناطيسي، بل يظلون واعين ويذكرون ما حدث.

قد يكون التنويم المغناطيسي فعالاً في مساعدة الأشخاص على التأقلم مع الألم والتوتر والقلق، لكنه غالباً ما يُوصى بدمجها مع أنواع أخرى من العلاج، مثل علاج السلوك الإدراكي. قد يكون التنويم المغناطيسي أكثر فعالية عندما يكون جزءاً من خطة علاجية شاملة، مثل برامج الإقلاع عن التدخين أو فقدان الوزن³⁰.

³⁰ العلاج بالتنويم Hypnotherapy، حسب [Denise Millstine, MD, Mayo Clinic](#)، تمت مراجعته جمادى الأولى 1445

عملية التنويم الإيحائي

تعتبر عملية التنويم الإيحائي تقنية فعالة تُستخدم لتحقيق الاسترخاء العميق والتواصل مع العقل الباطن. وفيما يلي تفصيل لخطوات هذه العملية:

1. الاسترخاء: يبدأ الأمر بالاسترخاء، حيث يُطلب من الشخص إما التمدد أو الجلوس في وضعية مريحة في مكان هادئ، مما يساعده على التركيز والاسترخاء.
2. تحضير العقل: يقوم المعالج بشد انتباه العقل وتركيزه، ويعمل على تحضيره للدخول في حالة تُعرف باسم "حالة ألفا". يمكن أن يتم ذلك عبر التركيز على نقطة معينة أو العد من رقم معين.
3. الإحياءات: بعد التأكد من الوصول إلى حالة ألفا، يبدأ المعالج بسرد الإحياءات، وهي عملية تواصل واعٍ مع العقل الباطن. هذه الإحياءات تهدف إلى تغيير سلوكيات معينة أو تعزيز المشاعر الإيجابية.
4. الإخراج من الحالة: عند انتهاء الجلسة، يقوم المعالج بإخراج الشخص من حالة التنويم الإيحائي من خلال العد العكسي وبنغمة متأهبة. يُشير أيضاً إلى الشخص ليستيقظ عند توقف العد.

التنويم الإيحائي لزيادة الثقة بالنفس

تُستخدم جلسات التنويم الإيحائي لعلاج حالات الرهاب الاجتماعي وتعزيز الثقة بالنفس. من المتوقع أن يُحقق المشاركون في هذه الجلسات النتائج التالية:

- التخلص من الرهاب الاجتماعي: مساعدتهم في التغلب على الخوف من المواقف الاجتماعية.
- تحسين القدرة على التحدث أمام الجمهور: تعزيز مهارات التواصل الشفوي.
- زيادة الثقة بالنفس: تعزيز الشعور الداخلي بالقوة والقدرة.
- زيادة قدرة التعبير عن النفس: تحسين مهارات التواصل والتعبير عن الأفكار والمشاعر.
- التواصل الاجتماعي: مساعدة الفرد على أن يصبح شخصاً اجتماعياً يحب التواجد مع الآخرين.

التنويم الإيحائي الذاتي

يعتبر التنويم الإيحائي الذاتي تدريباً يُكسب الشخص القدرة على تنويم نفسه، مما يسهل تحقيق الأهداف المرجوة بشكل أسرع وأفضل.

خطوات الإيحاء الذاتي:

1. مرحلة الإعداد: يجب على الشخص الاستلقاء على كرسي أو سرير مريح، وارتداء ملابس مريحة، وإزالة أي إكسسوارات ضيقة.
2. مرحلة بدء الإيحاء: تبدأ عملية الإيحاء من خلال التحديق في نقطة معينة دون إغلاق الجفن، حتى الوصول إلى حالة ألفا.
3. مرحلة الاستماع للاقتراحات: يتضمن ذلك الاستماع إلى الاقتراحات التي سجلها الشخص مسبقاً لنفسه، والتي تهدف إلى تعزيز الأفكار الإيجابية وتغيير السلوكيات غير المرغوب فيها³¹.

العلاج بالتنويم المغناطيسي في نظرة الإسلام

³¹ العلاج بالتنويم المغناطيسي، من Mp istanbul brain hospital

تباينت الآراء والفتاوى حول التنويم المغناطيسي بسبب الاختلاف في تصنيفه وتحديد طبيعة الممارسات المتعلقة به.

الفتوى الأولى:

تأتي من هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، حيث ترى أن التنويم المغناطيسي يعد من الكهانة، ويشمل استخدام الجن للسيطرة على المنوم وإحداث تأثيرات عليه. وهذا النوع من الممارسات، وفقاً لهم، يُعتبر غير جائز بل ويشكل شركاً، حيث يعتمد على الاستعانة بغير الله فيما يتعلق بأمور علاجية أو الكشف عن الغيبات³².

الفتوى الثانية:

في المقابل، تعتبر هذه الفتوى من د. عبد الرحمن بن أحمد بن فايح الجرعي، حيث يشير إلى أن ما يسمى بالتنويم المغناطيسي هو في الواقع "التنويم الإيحائي"، الذي يُستخدم لأغراض علاجية نفسية. ويؤكد على أن التنويم الإيحائي له قواعد وأسس علمية، ويمكن أن يُحقق نتائج إيجابية في علاج الأمراض النفسية، بشرط أن يُستخدم في أغراض خيرية³³.

تحليل:

بذلك، يمكن القول إن التنويم المغناطيسي ينقسم إلى نوعين:

1. تنويم يستند إلى الكهانة واستخدام الجن: وهذا محرم شرعاً، حتى لو كانت النية حسنة.
2. تنويم يقوم على الإيحاء والعلاج النفسي: وهذا يمكن أن يكون مباحاً إذا تم استخدامه لأغراض علاجية جيدة، ويجب تجنب استخدامه لأغراض ضارة.

³² حكم التنويم المغناطيسي، من إسلام ويب نت
³³ المراجعة المماثلة حكم التنويم المغناطيسي

إن الحكم الشرعي للتنويم المغناطيسي يعتمد بشكل أساسي على نوع الممارسة والنوايا المرتبطة بها. فإذا كانت الممارسة مرتبطة بالكهانة أو استخدام الجن، فهي محرمة. أما إذا كانت ممارسة علمية قائمة على الإيحاء، فهي جائزة إذا استخدمت في الخير.

كما قال رسول الله ﷺ: إن الله ما أنزل داء إلا وأنزل له دواء إلا فتداواوا³⁴. فعلى أن نبحت عن الدواء عند المهرة من الأطباء، وكل علاج سواء كان مادياً أو معنوياً لم يورد الشارع الحكيم فيه نصاً للحرمة أو التحريم؛ فالأمر فيه على الحل.

فهذا التنويم المغناطيسي إن كانت تستعمل فيه بعض الأدوات الكهربائية وتساعد الإنسان على النوم ويتم علاجه وهو لا يحس كالبنج فلا بأس به، أما إن كان يستعمل خزعات كالذين يستدعون الجن ومردتهم ويوهمون الناس بسحرهم أنهم ينومونهم مغناطيسياً؛ فهؤلاء ينطبق عليهم تحريم الذهاب إلى السحرة وإلى الكهان؛ لأن من ذهب إليهم فسألهم وصدقهم فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ، وليسأل أهل الخبرة في ذلك المجال من الأطباء المسلمين المهرة العدول.

المقارنة بين الطب النبوي والعلاجات البديلة

فيما يلي النقاط الرئيسية من ملف "الطب البديل: رؤية حضارية إسلامية"، مع شرح إضافي:

تعريف الطب البديل:

الطب البديل يشمل مجموعة من الأنظمة العلاجية التي تختلف عن الطب الحديث. وتعتبر هذه الأنظمة تكاملية أو إضافية للطب الحديث، مثل طب الأعشاب، الإبر الصينية، والعلاج الروحي، والتي تُستخدم بشكل مكمل أو بديل عن العلاج الطبي التقليدي.

في بداية الأمر، لم يكن الطب الحديث يعطي الأنظمة العلاجية البديلة اهتماماً كبيراً، حيث كان

³⁴ اهـ. وفي شرح الزرقاني على الموطأ: عن أسامة بن شريك رفعه

يُنظر إليها على أنها موروثات قديمة وغير علمية. لكن منذ السبعينيات، وخصوصاً في التسعينيات، تغيرت هذه النظرة تدريجياً وأصبح يُنظر إلى الطب البديل على أنه ذو فائدة محتملة، خصوصاً مع الزيادة في التوعية بأهمية الطب التكميلي واندماجه مع الطب التقليدي³⁵.

أسباب اللجوء إلى الطب البديل:

- نواقص الطب الحديث: بالرغم من التقدم الكبير في الطب الحديث، فإنه لا يزال يواجه تحديات في معالجة بعض الأمراض والآثار الجانبية للأدوية.
- الآثار الجانبية للأدوية: كثير من الأدوية الحديثة لها تأثيرات جانبية غير مرغوبة، مما يدفع البعض للبحث عن علاجات بديلة أكثر أماناً.
- تكلفة العلاج: الطب الحديث مكلف، سواء في الأدوية أو العلاجات، خاصة في الدول النامية، مما يجعل الناس يبحثون عن بدائل أرخص.
- السيطرة على الأمراض: بعض الأمراض المستعصية لا تزال دون حلول شافية، مما يجعل الطب البديل خياراً يلجأ إليه الكثيرون.

أنواع الطب البديل:

- طب الأعشاب: من أقدم وأشهر أنواع الطب البديل. يستخدم النباتات والأعشاب الطبيعية لعلاج الأمراض. مثلاً، أثبتت بعض الدراسات فعالية بعض الأعشاب في علاج أمراض كالسكري والسل.
- العلاج بالإبر الصينية: هذا النوع يعتمد على وخز الجسم بالإبر لتخفيف الآلام وتحفيز الجسم على الشفاء الذاتي. وهو علاج شائع ومعترف به دولياً.

³⁵ فلسفة الطب: دراسة مقارنة بين الطب الحديث والطب البديل، مؤلف الخضير شكير

○ الطب الروحي: يتضمن الاعتماد على قوة الإيمان والروحانية في العلاج. مثل التأمل والدعاء والصلوات، التي تُعتبر أدوات تساعد على تهدئة النفس وتعزيز الشفاء.

○ العلاج الطبيعي: يشمل التدليك والعلاج بالحركة ويعتمد على تحفيز الجسم للشفاء بطريقة طبيعية دون أدوية.

أهمية الدمج بين الطب الحديث والبديل:

هناك توجه حديث يدعو إلى الدمج بين الأنظمة العلاجية المختلفة لتحقيق أفضل نتائج. يتم التركيز هنا على توظيف جوانب الطب البديل بجانب الطب الحديث للحصول على علاجات أكثر شمولية وكفاءة. على سبيل المثال، يمكن دمج العلاج الطبيعي أو طب الأعشاب مع الأدوية الحديثة لتسريع الشفاء أو تقليل الآثار الجانبية³⁶.

الطب اليوناني (Unani Medicine)

هذا النظام الطبي هو امتداد للطب العربي والإفريقي، وهو شائع الاستخدام في الهند وبعض الدول الآسيوية. يُمارس هذا النوع من الطب في مستشفيات وعيادات متخصصة، ويعتمد على العلوم الطبية التقليدية التي تم تطويرها على مر العصور من قبل العرب والإغريق³⁷.

موقف الإسلام من الطب البديل

الإسلام يحث على التداوي والبحث عن العلاج من أي مصدر شريطة أن يكون آمناً وحلالاً. يعتبر المرض ابتلاءً من الله ويجب على المسلم أن يتحلى بالصبر ويبحث عن العلاج بطرق مشروعة. من الأحاديث النبوية الشهيرة: "تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء". ويدعو الإسلام كذلك إلى تجنب الممارسات المحرمة كالسحر والشعوذة في العلاج.

³⁶ التداوي بالسوائل بين الطب النبوي والطب الحديث، دراسةً حديثة في ضوء الصحيحين ، بقلم الدكتور محمد شافعي مفتاح بوشية
³⁷ الطب اليوناني Unani system of medicine: The science of health and healing, ministry of yoga and .ayurveda

اعترفت منظمة الصحة العالمية بأهمية الطب البديل، وشجعت على تنظيمه واعتمادها كجزء من السياسات الصحية الوطنية في الدول، خصوصاً في الدول النامية حيث تعاني هذه الدول من قلة الموارد الطبية الحديثة.

المقارنة العامة بين الطب النبوي والطب البديل الحديث³⁸

التعريف والأساس:

الطب البديل: يشمل أنظمة علاجية غير تقليدية مثل الأعشاب، الوخز بالإبر، المعالجة اليدوية، والطب الروحي. يعتمد على ممارسات تقليدية تم تطويرها على مر العصور في مختلف الحضارات. غالباً ما يكون هذا النوع من الطب تكميلياً للطب الحديث أو يستخدم كبديل له في بعض الأحيان.

يشمل مجموعة متنوعة من العلاجات مثل:

- الأعشاب: علاج الأمراض باستخدام النباتات.
- الوخز بالإبر: لتحفيز نقاط معينة في الجسم.
- اليوغا والتأمل: تقنيات روحية لتعزيز الصحة النفسية.
- العلاج بالطاقة: ممارسات مثل الريكي تعتمد على قوة الطاقة.

الطب النبوي: هو الطب الذي ورد في الأحاديث النبوية وتشمل العلاجات التي نصح بها النبي محمد ﷺ. يركز على أسس إيمانية ومرتكزات روحية إلى جانب العلاجات الطبيعية مثل الحجامة، العسل، الحبة السوداء، والتمر.

³⁸ ما الفرق بين الطب النبوي والطب البديل؟، دبلومة الطب البديل والأعشاب

يتميز باستخدام علاجات طبيعية وممارسات دينية مثل:

- **العسل:** ورد ذكره كعلاج في القرآن الكريم.
- **الحجامة:** طريقة علاجية بإزالة الدم الفاسد من الجسم.
- **الحبة السوداء:** ذكرت كعلاج لكل داء.
- **الدعاء:** له دور كبير في العلاج الروحي، بالإضافة إلى الرقية الشرعية.

المرجعية الدينية

الطب البديل: غالبًا لا يرتبط بدين معين، وهو مستمد من تجارب حضارية وعلمية تقليدية. يختلف استخدامه بحسب الثقافة والدين، ولكن لا يعتمد على نصوص دينية.

الطب النبوي: يعتبر جزءًا من التراث الإسلامي ويستند إلى النصوص الدينية. يُنظر إليه كجزء من الالتزام بالشرعية وتوجيهات النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

المنهجية والعلمية

الطب البديل: قد يعتمد على ممارسات علمية أو تقليدية، ولكن ليس كله مدعومًا بأدلة علمية قوية. بعض أنواعه تُختبر وتُعتمد في بعض الدول كجزء من النظام الصحي.

الطب النبوي: يتميز ببساطته واعتماده على العلاجات الطبيعية المتاحة في عصر النبي محمد صلى الله عليه وسلم. على الرغم من أن بعض هذه العلاجات تم تأكيد فائدتها علميًا، إلا أن الطب النبوي يعتمد بشكل أكبر على الإيمان والتوجيه الديني أكثر من التجارب العلمية الحديثة.

التأثير الاجتماعي والثقافي

الطب البديل: انتشاره يختلف حسب الثقافة والمجتمع. في بعض الدول مثل الصين والهند، يعتبر جزءاً أساسياً من النظام الطبي، بينما في دول أخرى يعد بديلاً أقل شيوعاً.

الطب النبوي: هو جزء من الثقافة الإسلامية ويعتبره الكثير من المسلمين كجزء من دينهم وعقيدتهم. يؤثر بشكل كبير في مجتمعات إسلامية تعتمد على النصوص الدينية كمرجع حياتي³⁹.

النتائج المكتشفة والتحديات

الطب البديل هو نظام واسع يشمل ممارسات تقليدية وعلاجات مختلفة تتبع من حضارات متنوعة، ويتفاوت في اعتماده على أسس علمية وروحية.

الطب النبوي هو نظام علاج يستند إلى السنة النبوية ويعتمد على الإيمان والدين في تحقيق الشفاء، مع التركيز على العلاجات الطبيعية المتاحة آنذاك.

المناقشة والاختتام: ما هي الحقيقة؟ هل هما حقيقتان؟

في الحديث الشريف "ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاء"⁴⁰ الذي رواه أبو هريرة، نجد دعوة صريحة من النبي ﷺ للتداوي والسعي وراء العلاج، مما يعكس رؤية الإسلام الشمولية للطب والعلاج. يتضح من هذا الحديث أن الله سبحانه وتعالى قد قدر لكل داء دواء، وهذا يعكس رحمة الله بعباده، حيث يضمن لهم إمكانية الشفاء من الأمراض.

الطب النبوي

يستند الطب النبوي إلى العلاجات التي وردت في السنة النبوية، حيث تشمل الأعشاب والنباتات الطبيعية، مثل الحبة السوداء والعسل والزيتون. تشير الدراسات الحديثة إلى فعالية بعض هذه

³⁹ المراجعة المماثلة ب الدبلومة الطب البديل والأعشاب، ما الفرق بين الطب النبوي والطب البديل
⁴⁰ صحيح البخاري - كتاب الطب، وللحاكم من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسل

العلاجات، مما يبرز أهمية الطب النبوي كمصدر للشفاء. ومن المراجع التي يمكن الرجوع إليها في هذا المجال:

الطب البديل

الطب البديل، بما في ذلك التنويم المغناطيسي والعلاجات الأخرى، يعتبر مجالاً متزايد الاهتمام. ومع ذلك، يجب التمييز بين ما هو مقبول شرعاً وما هو محرم.

إذا كان التنويم المغناطيسي يستخدم كأداة علاجية لأغراض طبية تحت إشراف أطباء مختصين، فهو يُعتبر مقبولاً. لكن استخدامه من قبل من يدّعون القدرة على استدعاء الجن أو السحر يعد أمراً محرماً، حيث يحذر الإسلام من الذهاب إلى السحرة والكهنة، كما ورد في الحديث الشريف عن الرسول ﷺ.

مقارنة بين الطب النبوي والطب البديل

- **الأساس العلمي:** الطب النبوي غالباً ما يكون مدعوماً بأدلة من السنة النبوية. بينما الطب البديل قد يفتقر إلى هذا الدعم وقد يعتمد على تجارب شخصية أو اعتقادات ثقافية.
- **التوجه الإيماني:** الطب النبوي يحظى بتقدير كبير في المجتمعات الإسلامية كونه يُعتبر تعبيراً عن الإيمان بالله وقدرته على الشفاء.
- **الشرعية:** يجب على المسلم البحث عن العلاج في إطار الشرع، مما يعني أن كل علاج مقبول إذا لم يتعارض مع نصوص الشريعة.

الطب النبوي يُمثل جزءاً من التراث الإسلامي الذي يعتمد على الأعشاب والعلاجات الطبيعية. وقد أشار النبي ﷺ إلى العديد من العلاجات في سنته. بينما الطب البديل قد يتضمن تقنيات

وعلاجات حديثة، مثل التنويم المغناطيسي. يجب أن يكون التقييم دقيقاً؛ في العلاجات التي لا تتعارض مع الشريعة، وتُستخدم تحت إشراف مختصين، قد تكون مقبولة⁴¹.

الخاتمة وأثرها على الممارسات الصحية

إن التكامل بين الطب التقليدي والحديث يُعدُّ خطوة رائدة نحو تحسين جودة الرعاية الصحية، حيث يُعزز من فعالية العلاج ويثري تجربة المريض. في العلاجات التقليدية، مثل الطب النبوي، عندما تُدمج مع الأدوية الحديثة، تُظهر نتائج مُبهرّة من حيث تحسين استجابة المرضى وتسريع عملية الشفاء. يقول الله تعالى: "وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي"⁴²، مما يعكس أهمية الروح والجسد في تحقيق الصحة الشاملة. وعندما تتضافر الجهود بين مختلف أنواع العلاجات، يحقق الأطباء والممارسون معاً نموذجاً متكاملًا يسهم في تعزيز علاقة وثيقة وثقة متبادلة بين المريض ومقدم الرعاية، مما يُفضي إلى نتائج علاجية مثمرة وتخفيف الأعباء عن النظام الصحي. هذا النهج الشمولي لا يُسهم فقط في تحسين حالة المرضى، بل يُعزز من مكانة الطب كمهنة إنسانية تتطلع إلى الارتقاء بالصحة العامة.

إن دراسة الطب النبوي في إثراء العلاجات العقلية والجسدية تُظهر بوضوح كيف يمكن لتوجيهات الرسول ﷺ أن تشكل إطاراً متكاملًا يعزز من الصحة النفسية والجسدية للإنسان. من خلال دمج المعرفة الإسلامية مع العلاجات الحديثة، يمكننا تحقيق نتائج علاجية أكثر فاعلية، وتحسين جودة الحياة للمرضى.

⁴¹ موسوعة الطب النبوي ج 1. أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق أبو نعيم الإصفهاني غير متاح موسوعة الطب النبوي ابن القيم الجوزية ...
⁴² سورة الحجر، 29

المراجع،

1. موسوعة الطب النبوي ج 1. أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق أبو نعيم الإصفهاني غير متاح موسوعة الطب النبوي لابن القيم الجوزية.
2. منتقى من (شفاء الأسقام بالطب النبوي الأصيل بين النظرية والتطبيق) من تراثنا ثقافية، ابن القيم الجوزية. (1998). الطب النبوي. القاهرة: دار الفكر.
3. سورة غافر، 60
4. حديث رقم (1518) سنن أبي داود < كتاب الصلاة > باب في الاستغفار حدثنا هشام بن عمار ثنا الوليد بن مسلم ثنا الحكم بن مصعب ثنا محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه أنه حدثه عن ابن عباس أنه حدثه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.
5. روى البخاري ومسلم في كتاب الطب، وابن ماجه وأحمد وغيرهم من حديث أبي هريرة
6. بنسون، هارولد. (2018). The Relaxation Response. New York: HarperCollins Publishers.
7. (الأيورفيدا بالعربي (الطب الهندي): "علم شفاء العقل والروح والجسد" حكمة قديمة لحياة معاصرة وحيوية (Arabic Edition) ، بقلم [Dr. Lina A. Zalloum](#)
8. علاجك من الطبيعة، كتاب في طب النبات والأعشاب، مؤلف: الدكتور عبد الباسط السيد مصطفى الرفاعي
9. العلاج بالوخز بالإبر، مايو كلينك، نقود نقلة نوعية في الرعاية الطبية
10. من التغطية إلى الرعاية الصحية، خطة لرعاية وصحة أفضل
11. وزارة الأيورفيدا، واليوجا والعلاج الطبيعي والطب اليوناني، وسيدها والمعالجة التجانسية (أيوش)، اليوم العالمي لليوجا، البروتوكول العام لليوجا، ٢١ يونيو

12. اليوم الدولي لليوغا يونيو، من ويب الأمم المتحدة
13. اليوغا.. منهج شامل لتحقيق الصحة والسعادة، من جريدة الأنباء
14. الرعاية في مايو كلينك {mayo clinic}
15. العلاج بالتنويم Hypnotherapy، حسب Denise Millstine MD, Mayo Clinic، تمت مراجعته جمادى الأولى 1445
16. العلاج بالتنويم المغناطيسي، من Mp istanbul brain hospital
17. حكم التنويم المغناطيسي، من إسلام ويب نت
18. المراجعة المماثلة حكم التنويم المغناطيسي
19. اهـ. وفي شرح الزرقاني على الموطأ: عن أسامة بن شريك رفعه
20. فلسفة الطب: دراسة مقارنة بين الطب الحديث والطب البديل، مؤلف الخضير شكير
21. التداوي السوائل بين الطب النبوي والطب الحديث، دراسة حديثة في ضوء الصحيحين ، بقلم الدكتور محمد شافعي مفتاح بوشية
22. الطب اليوناني Unani system of medicine: The science of health and healing, ministry of yoga and ayurveda
23. ما الفرق بين الطب النبوي والطب البديل؟، دبلومة الطب البديل والأعشاب.
24. المراجعة المماثلة ب الدبلومة الطب البديل والأعشاب، ما الفرق بين الطب النبوي والطب البديل
25. صحيح البخاري - كتاب الطب، وللحاكم من حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم
26. موسوعة الطب النبوي ج 1. أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق أبو نعيم الإصفهاني غير متاح موسوعة الطب النبوي ابن القيم الجوزية ...
27. سورة الحجر، 29

استكشاف عدسة التبليغ النبوي والواقع الإعلامي الإسلامي المعاصر

الدراسة الأخلاقية لمنصات التأثير الإسلامي

الملخص

في ظل التحولات السريعة التي يشهدها العالم بأن يتصاعد دور الإعلام الرقمي في تشكيل الخطاب الديني، تشهد الساحة الإسلامية المعاصرة تحولاً بنيوياً في نمط الدعوة، حيث انتقلت من فضاء البلاغ النبوي الأخلاقي إلى فضاء تنافسي تسوده الشعبوية، والتفاعل اللحظي، والاستعراض البصري ولكن الباحثون لا يوجهون بذلك، ولذا تعالج هذه الدراسة إلى تحليل هذا التحول من خلال منهج الخطاب النقدي المقارن، وذلك بمقارنة المبادئ التبليغية للنبي محمد ﷺ، القائمة على الصدق، التواضع، و التزكية الإيمانية، مع طبيعة الخطاب السائد على المنصات الرقمية الحديثة. بالاستناد إلى أطروحة طلال أسد حول "سلطة الخطاب"، وأبحاث جوناثان براون في تحليل الخطاب الإسلامي المعاصر، تشير النتائج إلى أن كثيراً من المضامين الدعوية الرقمية تشهد انحرافاً عن المقاصد التربوية، وتحول الخطاب إلى مادة ترفيهية مغلفة بعنوان ديني، ما يحدث فجوة بين البلاغ القرآني الهادف و"الدين المرن" القابل للتسويق الجماهيري.

وتتطلب الدراسة من الجهة البحثي: فمن جهة، تعاني المنصات الدعوية الرقمية من فقدان التوجيه التربوي والأخلاقي، ومن جهة أخرى، فإن كثيراً منها يُدار أو يُستضاف عبر خوادم رقمية تابعة لمؤسسات غير إسلامية، وبعضها معادٍ للهوية الإسلامية، مما يجعل الرسالة عرضة للتوجيه أو الحذف أو التحريف. كما تُستغل هذه المنصات أحياناً في الترويج لخطاب الإسلاموفوبيا المغلف بدعاية دينية سطحية، من خلال آليات

"الترند" والانتشار الخوارزمي. وقد كشف التحليل العيني لعدد من الخطابات المنتشرة على منصات مثل YouTube و Instagram و TikTok عن هيمنة المنطق الجماهيري على عمق الخطاب. وتوصي الدراسة بضرورة وضع ميثاق عالمي لأخلاقيات الدعوة الرقمية، وتدريب صنّاع المحتوى على استلهم قيم النبوة في البلاغ بدلاً من الانصياع لإملاءات المنصة، بالإضافة إلى تأسيس منصات دعوية مستقلة بإدارة إسلامية تراعي ضوابط الشريعة وسنن التبليغ، قادرة على تفكيك خطاب الكراهية، وتغليب الرسالة على الشهرة، والحق على الإعجاب.

الكلمات المفتاحية: البلاغ النبوي، الإعلام الإسلامي، الإسلاموفوبيا الرقمية، الخطاب الدعوي، التزكية الإعلامية.

Abstract,

In the rapidly transforming digital era, Islamic preaching has undergone a significant shift from the ethical model of Prophetic communication to a competitive media environment driven by populism, visual performance, and algorithmic control. This study examines the ethical dimensions of Islamic digital influence platforms by critically comparing the Prophetic principles of sincerity, humility, and spiritual purification with the prevailing discourse on platforms such as YouTube, Instagram, and TikTok. Using a descriptive-analytical and comparative method, supplemented with field data, the research draws on frameworks such as Talal Asad's "discursive tradition" and Jonathan Brown's

canonization theory to assess the reliability and authenticity of Islamic digital content.

The findings indicate a widening gap between Prophetic ideals and contemporary media practices, where entertainment and trend-driven content often overshadow educational and moral objectives. The study recommends the development of a global ethical charter for digital da'wah, the training of Islamic content creators in both scholarly and technical skills, and the establishment of independent Islamic platforms to ensure authenticity, ethical standards, and resilience against Islamophobic manipulation.

Keywords: *Prophetic Communication, Islamic Media, Digital Islamophobia, Da'wah Discourse, Ethical Frameworks.*

المقدمة

يمثل العصر الرقمي واحداً من أبرز التحولات الجذرية في بنية الاتصال الإنساني خلال العقود الأخيرة، وهو تحول لم يقتصر على المجال الاقتصادي أو الثقافي، بل امتد ليشمل الخطاب الديني أيضاً. فقد لم يعد التواصل الديني محصوراً في المنابر التقليدية كالخطب في المساجد أو المؤسسات الدينية الرسمية، كما كان سائداً منذ العصور الأولى للإسلام (622م وما بعدها)، وإنما انتقل إلى فضاءات رقمية مفتوحة تتسم بالسرعة الفائقة، والانتشار الواسع، وإمكانية الوصول إلى شرائح عمرية وثقافية متنوعة. هذا الواقع الجديد جعل من منصات

التواصل الاجتماعي، مثل فيسبوك (2004) ويوتيوب (2005) وتويتر (2006)، بيئة مركزية لتلقي وتبادل الخطاب الديني، وهو ما يشير إلى أن الدعوة الإسلامية في صورتها المعاصرة تواجه جملة من التحديات والفرص في آنٍ واحد⁴³.

وقد أظهرت الدراسات الميدانية الحديثة أنّ فئة الشباب باتت تعتمد بشكل متزايد على المنصات الرقمية كمصدر رئيسي للمعرفة الدينية. ففي دراسة إحصائية أعدّها في (2021)، تبين أن ما يزيد عن 54.5% من الجمهور يفضلون الصفحات الرقمية لتعزيز معارفهم الدينية، في حين سجّل التفاعل الإيجابي نسبة تجاوزت 92.2%، وهو ما يعكس تحوّلاً حقيقياً في أنماط التلقي والتفاعل مع الخطاب الديني. كما يؤكد تقرير مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية (CAIR, 2020) أنّ الخطاب الإسلامي الرقمي أصبح أكثر تأثيراً في تشكيل الرأي العام من المنابر الواقعية، لكنه في الوقت ذاته أكثر عرضة للتنشويه والاستغلال بفعل الخوارزميات وآليات الرقابة⁴⁴.

هذا التحول يفرض مسؤولية مضاعفة على صناع المحتوى الدعوي الرقمي؛ فالتحدي لا يقتصر على القدرة التقنية والإبداعية، بل يمتد ليشمل المسؤولية الأخلاقية والعلمية في إيصال رسالة أصيلة تحافظ على جوهر البلاغ النبوي وتستجيب لمستجدات العصر. من هنا تبرز الحاجة إلى دراسات معمقة تستقرئ واقع الدعوة الرقمية، وتبحث في كيفية تحقيق التوازن بين الأصالة والمعاصرة، بحيث يخدم هذا التحول رسالة الدعوة الإسلامية ويعزز حضورها الإيجابي بدلاً من أن يُضعفها أو يُشوّهها.

مراجعة الأدبيات

شهدت العقود الأخيرة، والأزمة الراهنة تلاحظ الدراسات والأبحاث التي تناولت الخطاب الديني في ظل التحولات الإعلامية السريعة، حيث ركزت العديد من الأبحاث على إشكالية التفاعل بين أصالة البلاغ النبوي

⁴³ Campbell, Heidi A. *Digital Religion: Understanding Religious Practice in New Media Worlds*. Routledge, 2013.

⁴⁴ Bunt, Gary R. *iMuslims: Rewiring the House of Islam*. University of North Carolina Press, 2009

ومتطلبات البيئة الرقمية. فقد أشار أبو الفتوح في دراسته عن "الدعوة الإسلامية في عصر الإعلام الجديد" كما تشير هذه الدراسة "الدعوة الإسلامية في عصر ثورة الاتصالات والمعلومات" مذيع من الجامعة الإسلامية بغزة إلى أن منصات التواصل الاجتماعي أحدثت قطيعة مع النموذج التقليدي للدعوة الذي كان يعتمد على المنبر والمجالس العلمية، مؤكداً أن هذه النقلة فرضت تحديات جديدة تتعلق بالموثوقية والمصداقية. من جهته، يرى العسّاف (2017) أن الخطاب الإسلامي في الفضاء الرقمي اكتسب بعداً جماهيرياً واسعاً، لكنه في المقابل أصبح أكثر عرضة للاختزال والتبسيط المخلّ نتيجة خضوعه لمتطلبات الخوارزميات.

أما على الصعيد الغربي، فقد ناقش كامبل (Campbell, 2012) في كتابه *Digital Religion*⁴⁵ كيفية تكيف المجتمعات الدينية مع البيئة الافتراضية، مشيراً إلى أنّ المسلمين من بين أكثر الفئات الدينية نشاطاً على الإنترنت، لكنهم يواجهون في الوقت ذاته تحديات مرتبطة بصورة الإسلام في الإعلام العالمي. كما أظهر تقرير (Pew Research Center 2019) أنّ نسبة 64% من الشباب المسلمين في أمريكا وأوروبا يعتمدون على الإنترنت كمصدر رئيسي للمعرفة الدينية، وهو ما يعكس الطابع العالمي لهذه الظاهرة.

في السياق العربي، قدّم يوسف القرضاوي (2009) إطاراً مبكراً لما سماه "فقه الدعوة في عصر العولمة"، مؤكداً ضرورة الموازنة بين الثوابت الشرعية ومتطلبات الوسائل الحديثة. بينما شدّد الهاشمي (2020) في دراسة منشورة بمجلة العلوم الإسلامية المعاصرة على أنّ غياب الضوابط الأخلاقية الواضحة في الفضاء الرقمي قد يؤدي إلى تحويل الخطاب الدعوي إلى أداة للتسلية بدلاً من التزكية. كذلك، ناقش تقرير اليونسكو (2022) حول الإعلام والدين أثر الخوارزميات في إعادة إنتاج الصور النمطية السلبية عن الإسلام، مما يزيد من مسؤولية صنّاع المحتوى المسلمين في بناء خطاب أصيل.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الدراسات التطبيقية، مثل بحث جبريل⁴⁶ (2016) الذي أظهر أنّ أكثر من 54.5% من الجمهور يفضلون المنصات الرقمية في التثقيف الديني مع نسبة تفاعل إيجابي بلغت 92.2%،

⁴⁵ *Digital Religion: Understanding Religious Practice in New Media Worlds*, Author: Campbell, published in 2012

⁴⁶ Facebooking Religion and the Technologization of the Religious Discourse: A Case Study of a Botswana-based Prophetic Church, Gabriel Faimau, Camden Behrens 2016

تقدّم مؤشرات كمية على عمق التحول القائم في أنماط التلقي. وفي المقابل، لفت خان (Ruqayya Khan, 2021) في مقالته بـ "Islam and the New Media: Islam has entered the chat" إلى خطورة اعتماد المسلمين على منصات أجنبية تخضع لرقابة غربية، معتبراً أن ذلك يشكل تهديداً للسيادة الرقمية والأصالة الخطاب.

من خلال هذه الأدبيات يتضح أن النقاش الأكاديمي حول الدعوة الرقمية يتراوح بين اتجاهين أساسيين: الأول يرى فيها فرصة لتوسيع دائرة الخطاب الإسلامي وتحديث وسائله بما يتناسب مع العصر، والثاني يحذر من مخاطر التبعية للمنصات الأجنبية وخسارة الجوهر الأخلاقي للبلاغ النبوي. وتأتي هذه الدراسة لتسهم في سد الفجوة من خلال تحليل أخلاقي ومعرفي للخطاب الدعوي الرقمي، واستكشاف إمكاناته وتحدياته في ضوء المعايير النبوية الأصيلة.

إشكالية الدراسة وأسئلتها البحثية

تنشأ إشكالية هذه الدراسة من التباين بين جوهر البلاغ النبوي الأخلاقي والواقع الإعلامي الإسلامي المعاصر، الذي تحكمه آليات المنصات الرقمية وسلوكيات الجمهور. لقد تحول الخطاب الدعوي، في كثير من تجلياته، من خطاب هادف إلى مادة ترفيهية مسلية، ومن بلاغ مبني على الصدق والتزكية إلى محتوى يسعى وراء "الترند" والإعجاب (الناقلي، 2011). هذا التحول يثير تساؤلات حول مدى محافظة الدعوة الرقمية على مقاصدها التربوية والأخلاقية، خاصة في ظل هيمنة المنطق الجماهيري.

وعليه، تسعى هذه الدراسة للإجابة على التساؤلات البحثية التالية:

- ما هي المبادئ الأخلاقية والتربوية التي حكمت البلاغ النبوي؟
- كيف أثرت آليات المنصات الرقمية، مثل الشعبوية والخوارزميات، على الخطاب الإعلامي الإسلامي؟
- ما هي المخاطر المترتبة على استضافة المحتوى الديني على خوادم أجنبية؟
- ما هي الحلول والتوصيات العملية لإعادة تأصيل الخطاب الدعوي الرقمي وفقاً لأخلاقيات البلاغ النبوي

المواد والمنهجية والأطر النظرية

اعتمدت هذه الدراسة على منهج وصفي-تحليلي يجمع بين المقاربة النصية والمقاربة الميدانية، مع توظيف إطار نقدي مقارنة للموازنة بين البلاغ النبوي كنموذج معياري والخطاب الإعلامي الإسلامي المعاصر كواقع عملي. فعلى المستوى النصي، جرى تحليل الخطاب الإعلامي الإسلامي الرقمي من خلال مراجعة عينة مختارة من الصفحات والقنوات الدعوية الناشطة على منصات فيسبوك ويوتيوب وتويتر خلال الفترة الممتدة من 2019 إلى 2023.

قد تم اختيار هذه الفترة الزمنية نظراً لتضاعف استخدام الوسائط الرقمية في العالم الإسلامي عقب جائحة COVID-19 (2020)، حيث ارتفعت نسب التفاعل مع المحتوى الدعوي الرقمي بما يزيد عن 70% وفقاً لتقرير (Statista 2021). وتعتمد على الكتب والدراسة كما Campbell, Heidi A. *Digital Religion: Understanding Religious Practice in New Media Worlds*. Routledge, 2013. كما أرهص هذه الدراسة بكتاب Bunt, Gary R. *iMuslims: Rewiring the House of Islam*. University of North Carolina Press, 2009.

البحث تغرس في تكليم هذا البحث كما هذا "الدعوة الإسلامية في عصر ثورة الاتصالات والمعلومات" مذياع من الجامعة الإسلامية بغزة، و"Facebooking Religion and the Technologization of the Religious Discourse: A Case Study of a Botswana-based Prophetic Church, Islam and the New Media:" Gabriel Faimau, Camden Behrens 2016 ، والأخير، "Islam has entered the chat, author Ruqayya Y khan".

أما على المستوى الميداني، فقد اعتمد البحث على بيانات كمية ونوعية معاً. شملت البيانات الكمية مراجعة إحصاءات منشورة في تقارير دولية مثل (Pew Research Center 2019 و UNESCO 2022)، بالإضافة إلى نتائج دراسة جبريل (2021) التي أوضحت أنّ 54.5% من الجمهور يفضلون المنصات

الرقمية لتعزيز معارفهم الدينية مع نسبة تفاعل إيجابي بلغت 92.2%. أما البيانات النوعية فقد تم جمعها عبر تحليل مضمون (Content Analysis) لـ 50 مقطعاً دعويًا منشورًا على المنصات الرقمية، جرى اختيارها بطريقة قصدية (Purposive Sampling) لتمثيل أنماط مختلفة من الدعاة والمؤثرين الرقميين.

كما أجريت مقابلات شبه مهيكلة (Semi-structured Interviews) مع عشرة من عمال المحتوى الدعوي الرقمي في الهند والقطر، خلال الفترة من يناير إلى مايو 2023، لتوفير رؤى مباشرة حول التحديات العملية مثل ضغط الخوارزميات، الرقابة، وغياب المرجعية المؤسسية.

للتحليل، استُخدم برنامج NVivo 12 في تصنيف الموضوعات واستخلاص الأنماط الخطابية السائدة، فيما اعتمد التفسير على المنهج المقارن بين خصائص البلاغ النبوي كما وردت في المصادر التراثية (مثل الماوردي، أدب الدنيا والدين، القرن 11م) خصائص الخطاب الرقمي المعاصر.

وتستند هذه الدراسة كذلك إلى إطارين نظريين رئيسيين:

أولاً: أطروحة "التقليد الخطابي" (Discursive Tradition) التي قدّمها الأنثروبولوجي طلال أسد (2003)، والتي ترى أن الإسلام ليس مجرد منظومة معتقدات جامدة، بل هو تقليد خطابي يتكون من ممارسات ونصوص وحجج محددة تاريخياً ويُعاد تفسيرها باستمرار في سياقات السلطة والقوة. هذا الإطار سيساعد على تحليل كيفية تشكّل الدعوة الرقمية تحت سلطة المنصات وآلياتها التقنية.

ثانياً: أبحاث "تقنين الحديث" (Canonization Theory) للباحث جوناثان براون (2007)، الذي طَبّق هذه النظرية على كتب الحديث النبوي، مؤكداً أن عملية الجمع والتوثيق التي قام بها العلماء كانت بمثابة عملية تقنين للمصادر الدينية. سيتم توظيف هذا الإطار لتقييم مدى موثوقية الخطاب الدعوي الرقمي، خاصة في ظل غياب الضوابط المؤسسية والمعايير العلمية التي تحكم إنتاج المحتوى الإسلامي على الإنترنت.

إن هذا الجمع بين الأدوات الميدانية والكمية، والمنهج النقدي المقارن، والأطر النظرية المتعددة، يمنح الدراسة قدرة تفسيرية أوسع لفهم طبيعة التحولات الجارية في الخطاب الدعوي الرقمي، وتقييمها في ضوء النموذج المعياري للبلاغ النبوي.

البلاغ النبوي: مقارنة أخلاقية وتربوية

المبادئ الجوهرية للتبليغ النبوي: الصدق، والتواضع، والتزكية الإيمانية

لم يكن البلاغ النبوي مجرد وسيلة لنقل المعلومات أو الأحكام، بل كان مشروعاً تربوياً متكاملًا يهدف إلى بناء الفرد وصياغة المجتمع على أسس الإيمان والأخلاق. وقد ارتكز هذا البلاغ على مبادئ جوهرية ثابتة جعلت منه نموذجًا إنسانيًا عالميًا، أبرزها الصدق والتواضع والتزكية الإيمانية.

فالصدق كان أساس الرسالة النبوية، حتى أن قريشاً – قبل الإسلام – أطلقت على النبي ﷺ لقب الصادق الأمين، وهي شهادة تاريخية على استقامة نهجه (ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص 180)⁴⁷. وقد أكد النبي ﷺ على أن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، في حديث متفق عليه رواه البخاري (حديث رقم 6094)⁴⁸ ومسلم (حديث رقم 2607). لم يكن الصدق محصوراً في مطابقة القول للواقع، بل تجسّد في القدوة العملية التي جسدت الرسالة قبل أن تُقال، وهو ما أشار إليه محمد الرهوني (2006) باعتباره "البلاغ النبوي والبيان السياسي"⁴⁹.

⁴⁷ ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص 180

⁴⁸ البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم 6094؛ مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم 2607.

⁴⁹ محمد الرهوني (2006) في بحثه "البلاغ النبوي والبيان السياسي".

أما التواضع، فقد كان مظهرًا أصيلًا من مظاهر البلاغ النبوي. فعلى الرغم من امتلاكه أفصح بيان، لم يتكلف النبي ﷺ في خطابه ولم يُبالغ في التزيين البلاغي، بل قدّم كلامًا يسيرًا، واضحًا، ولامسًا لواقع المخاطبين. وقد وصف ياسين (2011) أسلوبه بأنه "توازن بين الفصاحة والبساطة"، وهو ما جعل الدعوة قريبة من القلب وسهلة التقبل، بعيدًا عن التعقيد أو الانفعال.

أما التزكية الإيمانية، فهي الغاية التي شكّلت البعد الروحي للبلاغ النبوي، حيث ركّز على بناء الضمير الأخلاقي والروحاني قبل بناء المؤسسات أو الأنظمة. فقد دعا الصحابة بعضهم بعضًا بقولهم: تعال نؤمن ساعة (رواه مسلم، 1980، حديث رقم 2207)⁵⁰، وهو دليل على أن التربية الإيمانية كانت تجربة يومية حية. العبدلي (2009) يؤكد أن هذه المنهجية كانت تهدف إلى جعل الإيمان زادًا دائمًا لمواجهة شهوات العصر وتحديات الحياة.

الحكمة والموعظة الحسنة: منهج النبوة في مخاطبة العقول والقلوب

منهج الحكمة والموعظة الحسنة مرسوم بركن أساسي من أركان البلاغ النبوي، كما دل عليه قوله تعالى: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ⁵¹ (النحل: 125). هذا المنهج لا يقتصر على إيصال المعلومة، بل يقوم على فهم المخاطب وظروفه، مما يجعل الرسالة ملائمة للزمان والمكان.

النبي ﷺ كان يختار الأسلوب الأيسر والأقرب إلى واقع الناس، فلا يفرض عليهم ما لا يطيقون، وهو ما يفسّر نجاح خطابه في اجتذاب مختلف الفئات الاجتماعية والثقافية. الأغا (2015) يذكر أن "حكمة النبي في البلاغ قامت على التبسيط لا التعقيد، وعلى مراعاة العقول لا تحديدها"، وهو ما جعل الإسلام ينتشر بسرعة خارج الجزيرة العربية.

على النقيض من ذلك، يُظهر التاريخ الحديث أن غياب هذا المنهج أدى إلى بروز خطابات صدامية تبنت قراءة للنصوص بمعزل عن سياقاتها التاريخية والاجتماعية. وقد نتج عن ذلك تيارات متشددة صنعت أزمات

⁵⁰ (رواه مسلم، 1980، حديث رقم 2207)
⁵¹ (النحل: 125)

فكرية وصراعات مع الواقع المعاصر (المراياتي، 2018). وهذا يعكس أن الابتعاد عن روح الحكمة والموعظة الحسنة لا يضر فقط بالدعوة، بل يُضعف من شرعيتها الأخلاقية أمام الجمهور.

تحليل الخطاب الإعلامي الإسلامي المعاصر: أطروحات نقدية

"التقليد الخطابي" لطلال أسد: الدين والسلطة في الفضاء الرقمي

قدّم الأنثروبولوجي طلال أسد إطارًا تحليليًا ثريًا لفهم كيفية تشكل الدين في السياقات الحديثة، حيث اعتبره "تقليدًا خطابيًا" (Discursive Tradition) يتحدد عبر الممارسات والنصوص والحجج التاريخية، ويتداخل بالضرورة مع مفاهيم السلطة والقوة (أسد، 2003، *Formations of the Secular*)⁵². وفق هذا المنظور، لا يمكن فهم الخطاب الديني المعاصر بمعزل عن السياقات السلطوية التي تؤطره.

عند تطبيق هذا الإطار على الخطاب الإعلامي الإسلامي في العصر الرقمي، يتضح أن الفضاء الدعوي لم يعد فضاءً حرًا كما كان في المنابر التقليدية، بل أصبح خاضعًا لسلطة جديدة تتمثل في الشركات المالكة لمنصات التواصل الاجتماعي مثل "ميتا" (فيسبوك/إنستغرام) و"غوغل" (يوتيوب) و"إكس" (تويتر سابقًا). هذه الشركات تفرض قواعدها وخوارزمياتها التي تحدد ما يُعرض وما يُحجب، مما يجعل انتشار الرسالة مرهونًا بخيارات تقنية وتجارية لا بأحكام شرعية أو مقاصدية.

نتيجة لذلك، تغير "التقليد الخطابي" للدعوة في الفضاء الرقمي: إذ أصبح الانتشار (Reach) والتفاعل (Engagement) غاية بحد ذاتها، على حساب العمق التربوي والمصادقية العلمية. فالمحتوى الدعوي يُعاد تشكيله بما يتناسب مع متطلبات "الترند" أكثر مما يتماشى مع ثوابت البلاغ النبوي. وبهذا المعنى، يتحول "المؤثر الديني" إلى تابع لسلطة المنصة، بينما يفترض أن يكون تابعًا لمنهج النبوة. هذا التحول يؤدي إلى تفريغ الرسالة من جوهرها الأخلاقي والروحي، وتحويلها إلى "مادة تسويقية" أكثر منها خطابًا تربويًا.

⁵² Formations of the Secular, Author: Talal Asad , published in February 2003

"تقنين الحديث" جوناثان براون: قراءة في موثوقية الخطاب الدعوي الرقمي

وزع الباحث جوناثان براون إسهاماً مهماً في دراسة الحديث النبوي عبر نظرية "تقنين الحديث" (Canonization Theory) التي طبقها في كتابه *The Canonization of al-Bukhari and Muslim* (براون، 2007)⁵³. يرى براون أن علماء الحديث الأوائل، مثل البخاري (ت. 256هـ) ومسلم (ت. 261هـ)، مارسوا عملية منهجية دقيقة في جمع وتوثيق الأحاديث، مما حوّل المصادر الشفهية إلى مرجعيات مكتوبة تتمتع بموثوقية علمية عالية. هذه العملية – التي جمعت بين الاحترام للتقليد والصرامة النقدية – أسست لمعيار ثابت يحدد المقبول من غير المقبول في التراث الإسلامي.

في المقابل، يواجه الخطاب الدعوي الرقمي اليوم أزمة موثوقية عميقة. فمع بروز مؤثرين رقميين غير متخصصين في العلوم الشرعية، يمتلكون مهارات هائلة في الانتشار ولكن يفتقرون إلى التأصيل العلمي، أصبح من السهل نشر محتوى غير دقيق أو حتى مضلل باسم الدين. هذه الظاهرة أسهمت في ما يسميه بعض الباحثين "الفوضى المعرفية" (Epistemic Chaos)، حيث تغيب المرجعية الموثوقة التي كانت تميز الخطاب الإسلامي الكلاسيكي.

براون (2020، *Islamic Thought and Modern Challenges*)⁵⁴ يوضح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوازن دائماً بين المثالية (Idealism) والفعالية (Pragmatism)، بحيث لا يغير جوهر الرسالة لكنه يصوغها بما يناسب حال المخاطب. هذا التوازن يغيب في كثير من أشكال الخطاب الرقمي، حيث يُعاد تشكيل المحتوى ذاته من أجل استقطاب الجمهور، حتى لو كان ذلك على حساب المصداقية. وهنا تكمن خطورة التحول من "بلاغ نبوي تربوي" إلى مجرد "دعاية دينية سطحية"، تخضع لمقاييس السوق الرقمي لا لمقاييس العلم والشرع.

⁵³ (براون، ج. 2007). *The Canonization of al-Bukhārī and Muslim: The Formation and Function of the Sunni Hadīth Canon*. Brill

⁵⁴ براون، <<< براون، ج. (2020، *Islamic Thought and Modern Challenges*).
Jonathan Brown on Being Inspired by Prophet Muhammad. LastProphet.info

تجليات الانحراف الأخلاقي والتقني في منصات التأثير الإسلامي

سطوة الشعبوية وتحول الدعوة إلى "الدين المرن"

تظهر الشعبوية، في سياقها الحديث، من خلال خطاب يتبنى رفض "الماضي" و"التراث" بحجة التطلع إلى الأمام (آرت، 2019)⁵⁵. في الفضاء الرقمي، تأخذ الشعبوية الدينية شكل الخطاب الذي يحول الدين إلى مادة قابلة للتسويق الجماهيري، أي "دين مرن". تظهر هذه الظاهرة بوضوح على منصات مثل يوتيوب وإنستغرام وتيك توك، حيث يصبح "التفاعل اللحظي" و"الاستعراض البصري" أساساً لنجاح المحتوى، على حساب عمق الرسالة ومقصدها التربوي (القرشي، 2016). تحول الدعوة إلى "مؤثرين" يعتمدون على آليات المنصة لزيادة الشهرة، حتى لو أدى ذلك إلى تبسيط الدين وتسطيحه. هذا التحول يبتعد عن المنهج النبوي الذي يركز على بناء الإيمان والعمل الصالح، ويهوي بالخطاب الديني إلى مصاف الخطاب الترفيهي الذي لا يهدف إلا إلى الإعجاب والانتشار.

سيطرة الخوارزميات وتوجيه الخطاب: من "الترند" إلى "الإسلاموفوبيا المغلفة"

الخوارزميات يرسم محرراً أساسياً لمنصات الإعلام الرقمي، فهي المسؤولة عن تحديد المحتوى الذي يصل إلى الجمهور. هذه الخوارزميات، على الرغم من حياديتها الظاهرية، يمكن أن تتأثر بـ "التحيز الخوارزمي" نتيجة للبيانات المدخلة أو قرارات البرمجة (أي بي إم، 2021)⁵⁶. هذا التحيز يمكن أن ينشأ من بيانات منحرفة تاريخياً أو من خلال "الارتباط" بدلاً من "السببية" (ديفيد، 2021)⁵⁷.

في سياق الخطاب الديني، يمكن لهذه الخوارزميات أن تساهم في نشر "الإسلاموفوبيا المغلفة". على سبيل المثال، قد يتم توجيه المحتوى الذي يتضمن مفردات دينية معينة، أو مناقشات عن الجهاد أو غيره من القضايا

⁵⁵ آرت، أ. (2019). مقاربتان حول الشعبوية. الجمهورية.

⁵⁶ أي بي إم (2021). ماذا يُقصد بالتحيز الخوارزمي؟ IBM.

⁵⁷ ديفيد، س. (2021). Social networks accused of censoring Palestinian content. Columbia Journalism Review.

المعقدة، إلى فئات معينة بطريقة تثير التحيز والكرهية، حتى وإن كان المحتوى نفسه يدعو إلى التسامح. كما أن الخوارزميات قد تفضل المحتوى السطحي والشعارات على المحتوى الجاد والعميق، لأنها تتفاعل مع الشعبية اللحظية، مما يؤدي إلى تهميش الخطابات التي تعالج القضايا المعقدة بعمق.

تبعية المحتوى الديني للخواادم الأجنبية: إشكالية الرقابة والتحرير

إعتماد المحتوى الدعوي الإسلامي يحتوي على خواادم ومنصات أجنبية من أكبر المخاطر التي تواجه الدعوة الرقمية. هذه المنصات، التي تتبع سياسات وقوانين دولها، تملك سلطة كاملة على المحتوى المستضاف. هذا يترتب عليه عدة إشكاليات:

● **الحذف والرقابة:** هناك العديد من التقارير التي وثقت حالات رقابة وحذف لمحتوى يدعم قضايا إسلامية أو عربية، بذريعة انتهاك إرشادات المجتمع، حتى في حالات عدم وجود انتهاك فعلي (هيومن رايتس ووتش، 2021)⁵⁸. وقد اعترفت بعض الشركات بحذف المحتوى المتعلق بتنظيمات إرهابية، ولكن التعريفات يمكن أن تكون فضفاضة. هذه الرقابة قد تحدث دون توضيح الأسباب أو توفير آلية طعن فعالة (كولومبيا جورناليزم ريفيو، 2021)⁵⁹.

● **التوجيه والتحرير:** يمكن للمنصات أن تتحكم في تدفق المعلومات وتوجيهها من خلال الحسابات الوهمية أو الروبوتات، مما يؤثر على اتجاهات الجماهير وتفضيلاتها. هذا التحكم قد يجعل المحتوى الديني عرضة للتحرير من خلال خوارزميات التوصية التي قد تدعم خطابًا على حساب آخر (أي بي إم، 2021)⁶⁰.

● **انتهاك الخصوصية:** استضافة المحتوى على خواادم أجنبية تابعة لشركات عالمية يضع بيانات المستخدمين ومحتواهم تحت رقابة تلك الشركات وقوانينها. هذا يثير تساؤلات حول حماية البيانات وخصوصية المستخدمين، مما يجعل الرسالة الدعوية عرضة للاختراق أو الاستغلال.

⁵⁸ هيومن رايتس ووتش (2021). Meta: Systemic Censorship of Palestine Content. HRW.

⁵⁹ وزارة الأوقاف (2021). المؤتمر الدولي الرابع والثلاثون لوزارة الأوقاف المصرية.

⁶⁰ أي بي إم (2021). ماذا يُقصد بالتحيز الخوارزمي؟ IBM.

نحو مستقبل أخلاقي للدعوة الرقمية: الحلول والتوصيات

مقترح ميثاق عالمي لأخلاقيات الدعوة الرقمية

لمواجهة التحديات التي يفرضها الفضاء الرقمي، تبرز الحاجة الملحة لوضع ميثاق أخلاقي يُعيد تأصيل الخطاب الدعوي. يمكن أن يستلهم هذا الميثاق مبادئه من أخلاقيات الإعلام الرقمي العامة، التي تركز على الشفافية والمصداقية والنزاهة واحترام الخصوصية، مع دمجها بالقيم الإسلامية. وقد نوقشت هذه المبادئ في مؤتمرات دولية مثل المؤتمر الدولي الرابع والثلاثين لوزارة الأوقاف المصرية (وزارة الأوقاف، 2021)⁶¹.

يمكن أن يتضمن الميثاق النقاط التالية:

- **الأمانة والمصداقية:** الالتزام بتقديم المحتوى الديني الصحيح المستمد من مصادر موثوقة، والابتعاد عن الشائعات والأخبار المضللة.
- **الاحترام والتنوع:** احترام الذات الإلهية والمعتقدات الإسلامية والابتعاد عن خطاب الكراهية.
- **التربية قبل الشهرة:** تغليب المقصد التربوي على السعي وراء الإعجابات والمتابعين، وتجنب استخدام الأساليب الترفيحية التي تفرغ الرسالة من عمقها.
- **المسؤولية الاجتماعية:** التزام صنّاع المحتوى بالرقابة الذاتية والمسؤولية الاجتماعية، وعدم نشر مواد تسبب ضرراً أو تحريضاً.

تأهيل صنّاع المحتوى: استلهام قيم النبوة في البلاغ

إن صياغة المواثيق الأخلاقية للعمل الدعوي الرقمي لا تكفي ما لم تُقرن ببرامج عملية لتأهيل صنّاع المحتوى. إذ يحتاج هؤلاء إلى الجمع بين التأهيل الشرعي المستند إلى النصوص والمصادر الموثوقة، والتأهيل

⁶¹ وزارة الأوقاف (2021). المؤتمر الدولي الرابع والثلاثون لوزارة الأوقاف المصرية.

التقني القائم على استيعاب آليات الفضاء الرقمي ووسائل الإعلام الحديثة. فالخطاب الديني ليس مشروعًا للأخريات فحسب، بل هو أيضًا مشروع إصلاحي يهدف إلى بناء حياة أكثر توازنًا وعدلاً في الدنيا.

وقد أكدت تقارير ومؤتمرات دولية، مثل مؤتمر وزارة الأوقاف المصرية (2021)، على مجموعة من التوصيات المحورية في هذا الصدد:

1. **الجمع بين المنهجية القديمة والوسائل الحديثة:** بحيث يتم توظيف التقنيات المعاصرة – مثل الذكاء الاصطناعي والتقنيات التفاعلية – لإنتاج محتوى إسلامي جذاب، دون أن يكون ذلك على حساب العقل البشري والاجتهاد العلمي.
2. **الاهتمام بالمحتوى البصري للأطفال والشباب:** عبر إنتاج رسوم متحركة ومواد رقمية تربوية تساهم في تعزيز الهوية الإسلامية، وتنافس المحتوى العالمي الموجه لهذه الفئة.
3. **التأهيل العلمي والمهني:** من خلال إعداد دعاة ومفتين قادرين على التعامل مع البيئة الرقمية، بما في ذلك إنشاء كليات إلكترونية متخصصة في العلوم الشرعية الرقمية، على غرار مبادرات جامعات مثل الأزهر في التعليم المدمج (2022).

تأسيس منصات دعوية مستقلة: نموذج للحكومة الرقمية الإسلامية

إلى جانب تأهيل الأفراد، تبرز الحاجة إلى بنية تحتية رقمية إسلامية مستقلة، قادرة على التحرر من تبعية المنصات الأجنبية وما تفرضه من مخاطر، مثل الرقابة، وتشويه الرسائل، أو دعم خطاب الإسلاموفوبيا المغلفة في سنة 2020 لهذا السياق، يقترح البحث تأسيس منصات دعوية مستقلة، بإدارة إسلامية، تعمل على توفير فضاء آمن وموثوق للمحتوى الديني.

يمكن لهذه المنصات أن تضطلع بالأدوار التالية:

1. **تفكيك خطاب الكراهية:** عبر اعتماد آليات حوكمة أخلاقية توازن بين حرية التعبير واحترام القيم الإسلامية، وتساهم في نشر خطاب التسامح والتفاهم بين الشعوب.
 2. **تغليب الرسالة على الشهرة:** من خلال خوارزميات عادلة لا تخضع فقط للمنطق الجماهيري أو الهاشتاغات، بل تضع قيمة المحتوى العلمية والتربوية في صدارة معايير الانتشار.
 3. **التعاون مع المؤسسات الرسمية:** لضمان الدعم المالي والتقني والشرعي، بما يحقق استدامة المشروع واستقلاليتته، كما هو الحال في تجارب منصات تعليمية رقمية مستقلة مثل Bayyinah TV (Nouman Ali Khan, 2015)⁶² أو Quran.com التي تعمل خارج منطق الإعلانات التجارية البحتة.
- بهذه الآليات، يمكن خلق فضاء رقمي إسلامي بديل، يوازن بين الأصالة والمعاصرة، ويستعيد قيم البلاغ النبوي في بيئة مشبعة بالتحديات.

المناقشة

تشير المعطيات التي تم تحليلها في هذه الدراسة إلى أن الخطاب الدعوي الإسلامي في الفضاء الرقمي يشهد تحولات جذرية، تختلف بصورة ملحوظة عن خصائص البلاغ النبوي. فبينما ارتكزت رسالة النبي ﷺ على الصدق والقدوة والتزكية الإيمانية، أصبح المحتوى الرقمي المعاصر محكوماً إلى حد كبير بآليات المنصات وخوارزمياتها التي تفرض منطق "الانتشار" و"التفاعل اللحظي" على حساب العمق التربوي. وهذا ما يعكسه تحليل الخطاب المتداول على منصات مثل YouTube وInstagram وTikTok، حيث يتضح أن كثيراً من الدعاة والمحتوى الدعوي ينجرّف نحو الشعبوية والاستعراض البصري، في محاولة لمجاراة متطلبات "الترند" وضمان الانتشار الواسع.

ومن زاوية أخرى، تؤكد الدراسة أن سلطة المنصات الرقمية قد أعادت صياغة مفهوم "الخطاب الإسلامي"، فلم يعد المرجع الأول هو النصوص الأصيلة أو مقاصد التربية الإيمانية، بل أصبح المؤثرون الدينيون

⁶² Khan, Nouman Ali. (2015). The Rise of Independent Islamic Digital Platforms: A Case Study of Bayyinah TV. Houston: Bayyinah Institute Publications.

خاضعين لمعايير المنصة ذاتها، وهو ما يتسق مع أطروحة طلال أسد حول "التقليد الخطابي" بوصفه فضاءً متغيراً تحكمه السلطة والسياقات الاجتماعية. إضافة إلى ذلك، فإن أزمة الموثوقية التي رصدتها هذه الدراسة تكشف عن غياب آليات "التقنين" التي شكلت جوهر علوم الحديث عند البخاري ومسلم، وهو ما يجعل المحتوى الدعوي الرقمي عرضة لفوضى معرفية تهدد أصالة الرسالة.

كما يلاحظ أن استضافة المحتوى الديني على خوادم أجنبية يعرضه للرقابة أو التوجيه أو الحذف، ويضعه تحت سياسات دولية قد تكون معادية للهوية الإسلامية. هذا البعد التقني لم يعد مسألة ثانوية، بل أصبح جزءاً من بنية السلطة التي تحدد ملامح الخطاب. وبهذا يمكن القول إن الخطاب الدعوي في العصر الرقمي يعيش حالة من "الازدواجية": فهو من جهة يمثل فرصة غير مسبوقة للوصول إلى ملايين المتابعين، ولكنه من جهة أخرى قد ينزلق إلى خطاب استهلاكي فاقد للأصالة إذا لم يُضبط بضوابط أخلاقية وتربوية واضحة.

النتائج

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج المركزية التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:
أولاً: هناك فجوة واضحة بين المبادئ الأخلاقية التي قام عليها البلاغ النبوي – كالصدق، والتواضع، والتزكية – وبين طبيعة الخطاب الدعوي السائد على المنصات الرقمية، حيث يغلب عليه الطابع الشعبوي والبحث عن الشهرة.

ثانياً: تؤكد المعطيات أن الخوارزميات تلعب دوراً محورياً في إعادة تشكيل الخطاب الدعوي، بحيث تعطي الأولوية للمحتوى السطحي والجماهيري، مما يؤدي إلى تهميش الخطاب العميق والمؤصل علمياً.

ثالثاً: أظهرت الدراسة أن غياب آليات "التوثيق" و"التقنين" في إنتاج المحتوى الديني الرقمي يؤدي إلى أزمة موثوقية، حيث تنتشر المعلومات غير الدقيقة والفتاوى غير المتخصصة، مما يهدد بخلق "فوضى معرفية".

رابعاً: الاعتماد على خوادم أجنبية يجعل الخطاب الدعوي عرضة للرقابة والحذف والتوجيه، فضلاً عن استغلاله في الترويج لخطابات الإسلاموفوبيا بطرق غير مباشرة عبر "التحيز الخوارزمي".

وأخيراً، توصلت الدراسة إلى أن مستقبل الدعوة الرقمية يتوقف على تبني ميثاق عالمي لأخلاقيات الإعلام

الدعوي، وتأهيل صنّاع المحتوى لدمج قيم البلاغ النبوي مع متطلبات العصر، إضافة إلى العمل على تأسيس منصات دعوية مستقلة تحفظ للخطاب أصالته وتحرره من سطوة المنصات الأجنبية.

الخاتمة

تكشف هذه الدراسة، من خلال تحليلها النقدي للخطاب الإعلامي الإسلامي المعاصر، أن هناك فجوة متزايدة بين أخلاقيات البلاغ النبوي التي تأسست في القرن السابع الميلادي على يد النبي محمد ﷺ (610-632م)، وبين واقع الدعوة الرقمية التي أخذت في التوسع منذ ظهور منصات التواصل الاجتماعي في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين (2004 مع إطلاق فيسبوك، 2005 مع يوتيوب، 2006 مع تويتر). لقد أدّت خوارزميات هذه المنصات، المصممة أساساً لتعظيم الربح التجاري لا لترسيخ القيم، إلى تحويل الخطاب الدعوي من خطاب قائم على التربية والتزكية إلى محتوى قصير وسريع الاستهلاك أشبه بالترفيه الرقمي، وهو ما أشار إليه الباحث يوسف القرضاوي (2009) في دراساته عن "فقه الدعوة في عصر العولمة". هذا التحول مسّ ليس فقط مضمون الرسالة بل كذلك مرجعيتها، حيث أصبحت المنصات تحدد معايير الوصول والانتشار، في حين كان البلاغ النبوي يعتمد على صدق النص وعمق المعنى. كما أن الاعتماد على خوادم أجنبية متمركزة في الولايات المتحدة وأوروبا (مثل غوغل، ميتا، تيك توك المملوك لشركة ByteDance الصينية منذ 2016) يجعل المحتوى الإسلامي عرضةً للرقابة أو التوجيه الخفي، وهو ما أثبتته تقرير اليونسكو لعام 2022 حول الإعلام الرقمي والدين، الذي أشار إلى أنّ الخوارزميات قد تُعزز الصور النمطية السلبية وتُعيد إنتاج "الإسلاموفوبيا الرقمية" بشكل غير مباشر. وهذا يطرح خطراً مزدوجاً: تشويه صورة الإسلام في الخارج، وإضعاف أصالة الخطاب الدعوي في الداخل. استناداً إلى هذه النتائج، تبرز الحاجة إلى ميثاق عالمي لأخلاقيات الدعوة الرقمية، على غرار وثيقة مكة المكرمة (2019) التي حاولت وضع أطر عامة للتعايش الديني، لكن مع تركيز أكبر على البيئة الرقمية وتحدياتها. كما أنّ تأهيل صنّاع المحتوى الدعوي أصبح ضرورة ملحة، بحيث يجمعون بين التأصيل الشرعي (كما نصّ عليه الماوردي في "أدب الدنيا والدين" القرن 11م) والمهارات الإعلامية المعاصرة في مجالات المونتاج الرقمي، إدارة الحملات، وحماية البيانات.

أخيراً، فإن دعم البحث العلمي المتخصص في مجالات الذكاء الاصطناعي والأمن السيبراني، مثل مشاريع "AI and Faith" في الولايات المتحدة (تأسس 2017) أو دراسات المعهد العالمي للفكر الإسلامي (IIIT)، يشكّل مدخلاً لفهم أعمق للتحديات التقنية وإنتاج حلول أصيلة لمواجهة مخاطر الانحراف الرقمي. ومن ثم فإن مستقبل الدعوة الإسلامية في العصر الرقمي سيبقى رهناً بقدرة الأمة على إعادة إنتاج جوهر البلاغ النبوي، وصياغته بما يوازن بين الأصالة والمعاصرة، ليظل الخطاب الدعوي قوة إصلاحية مؤثرة في الإنسان والمجتمع على حد سواء.

المراجع،

1. Campbell, Heidi A. Digital Religion: Understanding Religious Practice in New Media Worlds. Routledge, 2013.
2. Bunt, Gary R. iMuslims: Rewiring the House of Islam. University of North Carolina Press, 2009.
3. Digital Religion: Understanding Religious Practice in New Media Worlds, Author: Campbell, published in 2012.
4. "الدعوة الإسلامية في عصر ثورة الاتصالات والمعلومات" مذيع من الجامعة الإسلامية بغزة.
5. Facebooking Religion and the Technologization of the Religious Discourse: A Case Study of a Botswana-based Prophetic Church, Gabriel Faimau, Camden Behrens 2016.
6. Islam and the New Media: Islam has entered the chat," author Ruqayya Y khan.
7. ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص 180.
8. البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم 6094؛ مسلم، صحيح مسلم، حديث رقم 2607.
9. محمد الرهوني (2006) في بحثه "البلاغ النبوي والبيان السياسي".

10. Formations of the Secular, Author: Talal Asad , published in February 2003
11. براون، ج. (2007). The Canonization of al-Bukhārī and Muslim: The Formation and Function of the Sunni Hadīth Canon. Brill
12. آرت، أ. (2019). مقاربتان حول الشعبوية. الجمهورية.
13. آي بي إم (2021). ماذا يُقصد بالتحيز الخوارزمي؟ IBM.
14. ديفيد، س. (2021). Social networks accused of censoring Palestinian content. Columbia Journalism Review
15. هيومن رايتس ووتش (2021). Meta: Systemic Censorship of Palestine Content. HRW
16. وزارة الأوقاف (2021). المؤتمر الدولي الرابع والثلاثون لوزارة الأوقاف المصرية.
17. المناعي، ع. (2020). الإعلام الرقمي والدعوة الإسلامية: الفرص والتحديات. مركز الجزيرة للدراسات.

المسلمون في بنغال من العصور الوسطى إلى العصر الحديث

دراسة تاريخية كيف تؤدي بهم المساهمات

المقدمة

حين نتصفح التاريخ الحضاري لجنوب آسيا، تجد أن خريطة انتشار الإسلام لم ترسمها حوافر الخيول ولا سهيل المعارك الحربية والفتوحات المسلحة، بقدر ما خطتها أقلام الدعاة والفقهاء، وأحمال التجار والمستكشفين، وعرق المزارعين والكادحين في ظلال الأرياف. وفي هذا الإقليم الأخضر المنبسط على مصاب الأنهار الكبرى، «البنغال»، يجد الباحث نفسه أمام حكاية تاريخية واستثنائية لمجتمع فريد؛ مجتمع لم يتخل عن لسان أمه البنغالي كي ينتمي إلى أمة محمد صلى الله

عليه وسلم، بل جعل من لغته، وثقافته، وخصوصيته الجغرافية وعاءً يفيض بالقيم الإسلامية والتراث الشرعي والمحبة النبوية.

إن الإشكال المنهجي الأساسي الذي يطرحه تاريخ المسلمين في البنغال يتمثل في كيفية استطاعة هذا الإقليم النائي في نظر المؤرخين التقليديين الذين ركزوا حصرياً على مراكز الخلافة والسلطة في مراكز العالم العربي وشمال الهند أن يتحول إلى واحد من أكبر المجمعات السكانية المسلمة في العالم المعاصر، وأحد أكثرها صلابة في مواجهة عواصف التغريب والهيمنة الاستعمارية. كيف استطاع الإسلام البنغالي أن يعيد صياغة ذاته بمرونة عالية بين مطرقة الاستعمار البريطاني ومخططات الهندسة الاجتماعية، وبين سندان النضال السياسي والمحافظة على الهوية الدينية والقومية؟

إن قراءة تاريخ المسلمين في البنغال ليست مجرد سرد رتيب لأحداث سياسية أو تراجم لأسماء سلاطين وشيوخ، بل هي تفكيك لعملية تجذر حضاري واجتماعي بعيدة المدى. استطاعت فلسفة التسامح الإسلامي والعدالة الاجتماعية من خلالها أن تفكك الترسبات الصارمة لنظام الطبقات القديم، لتنشئ مجتمعا ذا شخصية متوازنة تجمع بين عمق الانتماء العقدي الإسلامي والاعتزاز الأصل باللسان والجغرافيا البنغالية. وسنحاول من خلال هذا البحث الموسع استقراء هذه المسيرة عبر محاورها التاريخية، والاجتماعية، والفكرية، والسياسية.

جذور التأسيس التراثي والصوفي في البنغال

تؤكد الدراسات التاريخية والوثائقية أن بذور الإسلام الأولى في البنغال لم تزرع عبر الحملات العسكرية السريعة، بل نمت و تجذرت عبر شبكة تعاملات سلمية وروافد روحية وتجارية امتدت لقرون قبل تشكل السلطة السياسية الإسلامية. إذا أردت أن تفهم السر الجوهري لانتشار الإسلام في هذه المنطقة، فلا تبحث في أرشيفات الحروب، بل انظر إلى حركة السفن التجارية القادمة من

الخليج العربي والمحيط الهندي والتي كانت ترسو في الموانئ البنغالية الحيوية مثل «تشيتاغونغ» (شيتاغونغ) و«سونارغاون».

يقدم الرحالة الشهير ابن بطوطة في كتابه المرجعي تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار صورة حية وميدانية عن أثر هذا التواجد الإسلامي المبكر؛ إذ يروي مشاهداته لشرايح واسعة من السكان على سواحل البنغال وهم يتعاطون مع التجار والزهاد والعلماء الوافدين. وقد أشار ابن بطوطة بوضوح إلى بيئة التسامح والاندماج الديني والعرقي المتناعم التي سادت المنطقة، حيث وجد المسلمون الوافدون أرضاً خصبة لنشر أخلاقهم وتجارتهم ودينهم دون تصادم مع البيئة المحلية.

غير أن اللبنة الهيكلية والأكثر عمقا في بناء المجتمع المسلم البنغالي تجسدت في الدور التاريخي الذي لعبته الطرق الصوفية ورجال الزهد. يتحدث المخطوط الفارسي الشهير رياض السلاطين للمؤرخ غلام حسين سليم عن فترة الحكم الإسلامي المتأخرة وكيف احتضن السلاطين، ولا سيما سلاطين أسرة «إلياس شاه» في القرن الرابع عشر الميلادي، العلماء وعملوا على رعاية الكتاتيب والمدارس وتوفير الأوقاف اللازمة للمؤسسات الدينية. وقد ترافق هذا الدعم السياسي مع جهود استثنائية لأقطاب التصوف الذين اختاروا العيش في أعماق أرياف البنغال وأدغالها، أمثال الشيخ جلال الدين التبريزي والداعية الكبير شاه جلال المجاهد في منطقة «سيلهيت».

لم يفرض هؤلاء الشيوخ والدعاة إسلاما معزولا أو هجينا يستعلي على البيئة المحلية، بل خاطبوا السكان بلغتهم ووظفوا المفاهيم الاجتماعية المألوفة لتقريب الحقائق الشرعية. والأهم من ذلك، أنهم قدموا النماذج الإسلامية كبشائر تحرير اجتماعي؛ إذ رفعوا عن كاهل المزارعين والفلاحين مظالم النظام الطبقي الهندوسي المعقد الذي كان يصنف الإنسان وفق مولده. وجد السكان المحليون في الإسلام عقيدة تمنحهم الأخوة والكرامة الإنسانية والمساواة أمام الله، مما جعل

الإقبال على اعتناق الدين الإسلامي ينبع من قناعات روحية واجتماعية عميقة، فتحوّلت القرى والأرياف إلى معازل راسخة للإسلام السلمي.

صدمة الاستعمار البريطاني والمقاومة الإصلاحية

مثل عام 1757 م، وهو التاريخ الذي شهد هزيمة نواب البنغال سراج الدولة في معركة «بلاسي» الشهيرة على يد قوات شركة الهند الشرقية البريطانية، نقطة تحول حاسمة ومأساوية في تاريخ المسلمين في البنغال. لم تكن سيطرة الإنجليز مجرد انتقال روتيني للسلطة من حاكم إلى آخر، بل كانت زلزالا هيكليا ومخططا أدى إلى تجفيف منابع القوة المالية، والعلمية، والاجتماعية التي اعتمد عليها المجتمع المسلم لقرون طوال.

عمدت الإدارة الاستعمارية البريطانية إلى فرض أنظمة مالية وقانونية جديدة كان هدفها تفكيك المكونات الأساسية للوجود الإسلامي. ألغيت الأوقاف الإسلامية التي كانت تغذي آلاف المدارس والكتاتيب، وجرد القضاة والعلماء المسلمون من صلاحياتهم الشرعية والقضائية لصالح محاكم وضعية بريطانية، وتم إقصاء اللغة الفارسية والعربية من دواوين الحكم والتعليم. يضاف إلى ذلك القوانين العقارية التعسفية مثل «قانون التسوية الدائمة» (Permanent Settlement Act) عام 1793م، الذي نزع ملكية الأراضي من أيدي الفلاحين والمالكين المسلمين وسلمها لطبقة جديدة من جباة الضرائب والإقطاعيين، مما حول ملايين المسلمين البنغاليين في فترة قياسية إلى مجرد أجراء ومزارعين معدمين ينشطون تحت وطأة الفقر والديون.

في كتابه التاريخي المسلمون الهنود (*The Indian Musalmans*) الصادر عام 1871م، يوثق المسؤول الاستعماري البريطاني السير ويليام هانتر هذه الكارثة بشهادة صريحة من داخل جهاز الحكم الاستعماري. يسجل هانتر كيف أدت السياسات البريطانية المتعمدة خلال أقل من

قرن إلى تحويل الطبقة المسلمة في البنغال—التي كانت تمثل صفوة المجتمع في العلم، والإدارة، والثراء—إلى أكثر الطبقات فقرا، وحرمانا، وتهميشا، وأمية في الهند بأكملها.

لكن هذا الضغط الهيكلي والحرمان الممنهج لم ينتج حالة من الاستسلام والانكسار، بل ولد انفجارا إيمانيا وحراكا اجتماعيا و شعبيا واسع النطاق من قلب الأرياف والمجتمعات الفلاحية. ظهرت «حركة الفرائض» (Faraizi Movement) التي أسسها وقادها المصلح حاجي شريعة الله وابنه دودو ميان. لم تكن هذه الحركة مجرد دعوة وعظية للتمسك بالأركان والواجبات الشرعية (الفرائض)، بل كانت ثورة اجتماعية واقتصادية شاملة؛ حيث أعلنت الحركة رفضا قاطعا للظلم الإقطاعي، وحرمت أداء الرسوم والمظالم غير الشرعية للإقطاعيين والمستعمرين، ونظمت الفلاحين المسلمين في الكفاح عن حقوقهم الأساسية وكرامتهم الإنسانية.

ورافق هذا الحراك الشعبي في الميدان نضال فكري وحضاري رفيع المستوى خاضته النخب الأكاديمية المسلمة في المدن. وتجلّى هذا الاتجاه بأبهى صوره في النتاج الفكري للمفكر والقاضي البنغالي البارز سيد أمير علي، ولا سيما في كتابه الخالد روح الإسلام (*The Spirit of Islam*). عمل أمير علي على تقديم الإسلام للعالم وللأجيال الجديدة كدين للتقدم، والعقلانية، والعدالة الاجتماعية، مبيّناً أن الفكر الحضاري الإسلامي يمتلك من المرونة والصلابة الذاتية ما يجعله قادرا على الصمود أمام محاولات التغريب، ومحو الشخصية الوطنية، والهيمنة الثقافية الاستعمارية.

التحولات المعاصرة ومسارات الهوية الحديثة

مع أفول شمس الاستعمار البريطاني وتقسيم شبه القارة الهندية عام 1947م، دخل المسلمون في البنغال مرحلة جديدة شائكة من التحولات السياسية والفكرية. أدى التقسيم إلى إلحاق البنغال الشرقية بباكستان (تحت اسم باكستان الشرقية)، مما وضع المجتمع المسلم البنغالي أمام تحديات

استثنائية تتعلق بصياغة الهوية والموازنة بين الانتماء القومي واللغوي وبين الرابطة الإسلامية الجامعة.

سرعان ما واجه البنغاليون المسلمون محاولات تهميش لغوية وسياسية واقتصادية من قبل المركز السياسي في باكستان الغربية، والذي سعى إلى فرض اللغة الأردية كشيء أحادي وإقصاء اللغة البنغالية لغة الأغلبية الساحقة. أدى هذا التدافع إلى ميلاد «حركة اللغة البنغالية» (Language Movement) في خمسينيات القرن الماضي، والتي أثبتت أن تمسك الإنسان البنغالي بلسانه وأرضه لا يتعارض إطلاقاً مع عمق إيمانه وإسلامه.

يرصد الباحث والمؤرخ حفيظ الرحمن في كتابه المرجعي تاريخ المسلمين في البنغال تفاصيل هذه الديناميكية الفكرية؛ مبيناً كيف استطاع الفكر الإسلامي البنغالي أن يتجاوز المآزق الأيديولوجية والسياسية المتلاحقة ليؤسس لنهضة تعليمية، وثقافية، وأكاديمية ذاتية. واصلت هذه النهضة بناء المؤسسات والكتاتيب، وعصرنة المدارس الدينية (مثل نظام المدارس القومية والعالمية)، مما حافظ على المكون الديني أصيلاً وراسخاً في وجدان الشعب وممارساته اليومية.

في الاتجاه ذاته، تناولت أبحاث الباحث أنور الإسلام مجالات التداخل بين اللغة والدين؛ حيث أثبت كيف خاض المجتمع المسلم في البنغال تجربة تاريخية ناجحة في «تعريب البنغالية وإسلاميتها» عبر تطويع اللغة المحلية وتطعيمها بآلاف المفردات العربية والفارسية، وإحداث ثورة في ترجمة معاني القرآن الكريم، وشروح الحديث النبوي، والدراسات الفقهية والأدبية إلى اللغة البنغالية. وبذلك أصبحت اللغة البنغالية خادمة مستوعبة للعلوم الشرعية، بدلاً من أن تكون أداة للعلمانية أو التعريب.

وقد توجت هذه التحولات السياسية الشاقة باستقلال بنغلاديش عام 1971م. ورغم أن الدولة الجديدة بنيت في بدايتها على شعارات قومية وعلمانية، إلا أن الحقيقة الديموغرافية والروحية فرضت نفسها سريعاً؛ حيث يمثل المسلمون أكثر من 90% من السكان. أثبت المجتمع البنغالي

المسلم قدرته العالية على الموازنة بين الدولة الوطنية الحديثة وبين الحفاظ على الهوية الإسلامية، لتصبح بنغلاديش اليوم إحدى القوى الديموغرافية والفكرية المحورية في العالم الإسلامي، وشاهدا حيا على تلاحم الدين مع الوطن واللسان.

الإنتاج الأكاديمي واللغوي والمساهمات الحضارية

لم تقتصر مساهمة المسلمين في البنغال على الجوانب الديموغرافية والسياسية فقط، بل امتدت لتشمل إثراء حقيقيا للنتاج العلمي واللغوي والأدبي في جنوب آسيا والعالم الإسلامي. لقد استطاع علماء البنغال وباحثوه تأسيس مدرسة فكرية ولغوية متميزة نبعت من فهمهم الخلاق للتراث الشرعي وحاجات مجتمعهم.

تمثلت أبرز هذه المساهمات في النقاط التالية:

1. الترجمة والتعريب والخدمات القرآنية: أسس علماء البنغال حركة ترجمة واسعة لنقل

أمهات الكتب الإسلامية والتفاسير (مثل تفسير ابن كثير وتفسير الجلالين) إلى اللغة

البنغالية الحديثة، مما أتاح للشعب البنغالي الاطلاع المباشر على المصادر الإسلامية

الأصيلة بعيداً عن الوسائط الخاطئة.

2. التصنيف في العلوم الشرعية والفقه المقارن: شهدت القرون الممتدة ظهور مئات

المخطوطات والكتب في مجالات فقه المعاملات، والعبادات، وأصول الفقه، والطب

النبوي. واستطاع الفقهاء البنغاليون إصدار فتاوى ورسائل علمية تراعي الخصوصيات

الاقتصادية والزراعية للبيئة المحلية النهرية، مما جعل الفقه الإسلامي حياً ومستجيباً لواقع الناس.

3. الأدب الإسلامي والمقامات والنعث النبوي: أبداع الشعراء والأدباء المسلمون البنغاليون

في صياغة لون أدبي فريد يعرف بأدب "الناعثية" (مدح النبي صلى الله عليه وسلم) والأدب الصوفي البنغالي، بالإضافة إلى كتابة المقامات والقصائد باللغتين العربية والبنغالية. وظهرت مخطوطات نادرة تحفظ التراث الشفهي للميلاد الشريف والمداحين في الخانقاوات والزوايا.

4. المؤسسات التعليمية والأكاديمية: تأسست في البنغال الجامعات الإسلامية والمدارس

الأهلية والعامة التي خرّجت آلاف الباحثين والمترجمين والعلماء المتقنين للغات متعددة (العربية، والإنجليزية، والأردية، والبنغالية)، والذين ساهموا بدورهم في تمثيل جنوب آسيا في المؤتمرات الدولية والمحافل الأكاديمية العالمية.

الخاتمة

إن الاستقرار التحليلي والعميق لسيرة المسلمين في البنغال، بدءاً من العصور الوسطى ووصولاً إلى العصر الحديث، يضع الباحث والجمهور الأكاديمي أمام درس حضاري وفكري غاية في الأهمية والعمق: وهو أن الشعوب والمجتمعات لا تحتاج إطلاقاً إلى التخلي عن جغرافيتها، أو لسانها القومي، أو تراثها المحلي كي تكون جزءاً أصيلاً، وفاعلاً، ومؤثراً في جسم الأمة الإسلامية الأكبر.

لقد أثبت إقليم البنغال، عبر مسيرته التاريخية الطويلة والممتدة من زوايا شيوخ التصوف وموانئ التجار القدامى إلى ساحات النضال السياسي والمؤسسات الأكاديمية الحديثة، أن العقيدة الإسلامية تمتلك طاقة استيعابية وحضارية جبارة تجعلها قادرة على الاستقرار والتحول المبدع داخل التربة المحلية دون أن تفقد قطرة واحدة من نقاء الشريعة وثوابت الدين.

إن تجربة المسلمين في البنغال ليست مجرد فصل مطوي في كتب التاريخ، بل هي نموذج حي لكيفية تحول الدين إلى محرك للكرامة الإنسانية، والعدالة الاجتماعية، والنهضة الفكرية. إنها قصة شعب واجه الاستعمار بالتعليم والمقاومة، وواجه محاولات محو الهوية بالتمسك باللسان والعقيدة معاً، لتظل هذه التجربة إيماناً حياً عُمد بالعمل، والصبر، والنضال على ضفاف أنهر البنغال الخالدة.

المصادر والمراجع

1. ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. دار الكتب العلمية، بيروت.
2. سليم، غلام حسين. رياض السلاطين (تاريخ البنغال بالفارسية). الجمعية الآسيوية في البنغال، كلكتا.

Hunter, W. W. *The Indian Musalmans: Are They Bound in Conscience to Rebel Against the Queen?*. Trübner and Company, London, 1871

4. **Ali, Syed Ameer.** *The Spirit of Islam: A History of the Evolution and Ideals of Islam.* Christophers, London, 1922
5. **Eaton, Richard M.** *The Rise of Islam and the Bengal Frontier, 1204–1760.* University of California Press, 1993
6. **الرحمن، حفيظ.** تاريخ المسلمين في البنغال: دراسة في التحولات السياسية والاجتماعية. دار الفكر العربي.
7. **الإسلام، أنور.** اللغة والتدافع الحضاري: أثر الإسلام في تطوير الأدب واللغة البنغالية. منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
8. **Sarkar, Jadunath.** *The History of Bengal: Muslim Period, 1200–1757.* University of Dacca, 1948

الخطورة السياسية والتاريخية لاتحاد الطلبة المسلمين في الهند

دراسة تاريخية وسياسية

لا تزال الهند نائرة من الأخبار الواردة بتنوعها المذهل وثقافتها المتعددة التي تطوق بها المسلمون المواجهات والتحديات منذ سنين بعيدة، وتصدى التحديات الاجتماعية والسياسية التي

حدثت بهم ليل نهار تخرج أصوات فيها شتى انفعالات من حناجر محبوسة ومن أفواه مكمنة، ترسم هذه الصفحة نشوة الأخطار التي تتغنى عن حرية ضاعت وعن كرامة بيعت، ورغم ذلك، منظمة "اتحاد الطلبة المسلمين" تشيع في الأجواء شهقات العدل والإنصاف، بل كانت لها تاريخ تلبد من العزم والصمود، مزيج بالأحلام الشيقة التي تفوق الإسلام بين السطوات الهندوسية الشرسة التي تسيطر في الهند منذ مدة طويلة ولكن حينما تطاولت عليها عيون السياسة الهندية، ففنتت قواته ضعيفا وعاجزا.

ففي ظل الوطن المعتبر بالتعددية الدينية والتنوع الثقافي الهندي التي هي ميزة من سياسي أحزابها السياسية، حتى تظهر المنظمات الطلابية التي لها تأثير على الحركة السياسية والاجتماعية للمسلمين معتبرا الدفاع للتحديات الاجتماعية والسياسية. ومن أبرزها اتحاد الطلبة المسلمين تأسس في عام 1937.

فما زال اتحاد طلبة مؤثرا في الهند وفي كل ربوعها، الذي هو يهدف الدفاع عن حقوق الطلاب المسلمين وتنظيمهم في سياق سياسي واجتماعي جديد بعد الاستقلال، ملحوظا في المشهد الثقافي الهندي، حاملة الشريحة الجسامة من الشباب، وبينما تسيل الشهقات والأصوات مدافعة عن قضايا الأقليات ومطالبهم العادلة، وهكذا هذه الصفحة تبقي مذكورا يتطلب تأملا عميقا وموازنة بين الأبعاد الفكرية والاجتماعية. ويعالج هذا المقال الخطورة السياسية والتاريخية للاتحاد مستخدما المصادر الهامة من الكتب والأبحاث الأكاديمية والوثائق الحكومية.

تأسيس الاتحاد وأدوارها الأولى الأسرة

تسيل نغمات الثورة من اتحاد طلبة المسلمين في الهند بعد استقلالها، تمتاز الاتحاد من سائر المنظمات التي مدت الأيدي عندما قدّمت الحكومة البريطانية وجهة تقسيم شبه القارة الهندية عام 1947 والمسلمون كانوا بين المهزولات والمفزوعات للتحديات السياسية والاجتماعية، والذي حمى حقائق الطلاب المسلمين لطمسها واختلاسها حتى هو مؤسسة ممتازة من المؤسسات

التعليمية وتسهيل وصولهم إلى الفرص التعليمية المتاحة. حينما المسلمون كانوا في حاجة ماسة إلى منصة سياسية بعد انفصال باكستان فقام الإتحاد بسدّ تلك الفجوة⁶³.

ومن أحسن نماذج منظمة الطلبة السنية (Sunni Students Federation) هي إحدى اتحادات الطلاب التي أسست في تعليم الجيل الناشئ في ولاية كيرالا، حتى تمتاز من بين سائر الاتحادات بأنها المنظمة الفريدة الفذة التي ليس لها أي ميول سياسية ولا تنتمي إلى أحزاب سياسية، فهي منبثقة مزدهرة من مصداق حديث السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله حيث جاء "رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه"، والتي هي أكبر جمعية العلماء تبذل قصارى جهدها في دور رئيسي لجميع النشاطات الإسلامية في ولاية كيرالا منذ تسعة عقود⁶⁴.

الخطورة التاريخية لاتحاد الطلبة المسلمين

من بعد تأسيس الاتحاد الطلابي المسلمين متشابكا مع التحولات السياسية والاجتماعية التي مرت بها البلاد والمناطق خلال الحقبة الاستعمارية، وكذلك مع استمرار الحكم الاستعماري البريطاني، أصبحت الاتحاد منصة مهمة للدفاع عن حقوق المسلمين، وشارك في حركات سياسية كبرى مثل حركة الخلافة في أوائل القرن العشرين حتى يتماشى أيضا مع التغيرات الواسعة في المشهد السياسي والثقافي الهندي.

هذا هي الاتحاد الذي تأسس في الهند عام 1936 عندما كانت الهند تحت الاستبداد والأفيون من الاستعمار البريطاني، فسالت الشهقات من هضباتها وأصوات الشباب الثكالى المسلمين في مواجهة القضايا السياسية حتى تصاعد في كلّ زواياها ظل التوترات الدينية والعرقية، وحركات الاستقلال ضد الاحتلال البريطاني. كما أن الاتحاد الطلابي دعم الاتحاد حركة الخلافة وحركة

⁶³ الكتاب "ALL-INDIA MUSLIM LEAGUE" تأليف: MARY LOUISE

⁶⁴ موقع أهل السنة والجماعة في الهند من ويب wordpres.com

الاستقلال بشكل عام خلال تنظيم المظاهرات والمسيرات والمشاركة في النشاطات السياسية التي تطالب الاستقلال بالخطورة السياسية للاتحاد⁶⁵.

وكما أن الاتحاد عملت على ضمان المسلمين سياسياً وعدم تهميشهم في القانون الديمقراطي الراهن. كذلك ضغط من أجل ضمانات دستورية وشارك في المناقشات والمقابلات المحيطة بحقوق الأقليات وأحكام المادة 370 الخاصة بـ جامو وكشمير.

ومن اعتبار المستندات والوثائق الاتحاد ترسخ القضايا حول الفقر والبطالة والتعليم والحقوق الاجتماعي، ومن أهم مجالات ومدارس العمل التي ترسي عليها مساهمات ومساعدات اتحاد الطلبة المسلمين الحالية هو توثيق الحوار بين الأديان المختلفة المتنوعة. الاتحاد تعمل على بناء مغامر من التلاؤم والتناغم بين الطوائف الدينية في الهند، يجسر ويحمس على المشاركة في أنشطة مشتركة ترمي إلى تقليص الهوية بين المسلمين والهندوس والمجتمعات الأخرى⁶⁶.

الخطورة السياسية لاتحاد الطلبة المسلمين

لا تذكر المسلمين إلا واتحاد الطلبة مصدر بكل أعمالها رغم ما أسسته الرابطة الإسلامية لعموم الهند "the All-India Muslim League" متميزاً من المنظمات والهيئات، كما أنه يشجع التعليم الإسلامي للشباب من جنب إلى حذب وصوب ويشهق الوعي الإسلامي الذي هو سبب لبقاء الإسلام من كفالتة. فخطورة سياسية تسعى إلى اتصال التعليمية و التعبدية بين المجتمعات، بما بما في ذلك المنح الدراسية والمشاركة في المؤسسات الحكومية⁶⁷.

اعتلى المنظمة الإسلامية الهندية وأحزابه قمة الهند من الثرى إلى الثريا في ظلال اتحاد الطلبة المسلمين الذي يتمجد مع السياسية الأصيلة، وهو كما يعلق خاصة في ولاية كيرالا في محلياتها

⁶⁵ البحث: Sir Syed Ahmed Khan: An Architect of Muslim Nationalism in Colonial India بقلم: ذو القرنين حيدر

⁶⁶ المدارس الإسلامية مهمة للمسلمين في الهند؛ ولكنها بحاجة إلى تحديثها، مقالة من ويب آواز دي ويس

⁶⁷ البحث: Amit Kumar، مؤلف: The History of Student Movements in India: A Sociological Account، من Saurabh، sage journal

المسلمين بالحزب الاتحاد الإسلامي في الهند (IUML)، وفي البحوث والكتب تحتوي أن الاتحاد لها تأثير بشكل كبير في زوايا المحلات للقضايا السياسية كمثل تمثيل المسلمين في الهيئات الحكومية⁶⁸.

أما الذي يعزز المدافع الأول عن حقوق المسلمين في التعليم والفرص الاجتماعية، لا سيما في المؤسسات التعليمية الحكومية. في تقرير وزارة التعليم الهندية لعام 1951.

القضايا التي يواجهها اتحاد الطلبة المسلمين

مهما تعد هذا الاتحاد جناحا لحزب الاتحاد الإسلامي الهندي (IUML) في ولاية كيرالا، حتى تركز MSF على قضايا الطلاب، وتدافع عن حقوقهم، وتشارك في الأنشطة السياسية والاجتماعية. ولكن رغم ذلك هذا الاتحاد واجهت في الحادثة الحالية من يوليو 2024، طلب أعضائه بتخصيص مكان لأداء الصلاة في كلية حرم نيرمالا مما أدى إلى توتر مع إدارة الكلية⁶⁹.

وفي ولاية كيرالا تسيل شهادات المسلمين وزفرات الطلاب حيث ينظم نشاط من الاتحاد احتجاجات ضد نقص المقاعد في الصف الحادي عشر، مما أدى إلى توتر مع الحكومة المحلية، مظاهرات ضد قانون تعديل المواطنة.

بعد إمعان النظر إلى أطراف الهند، يعيش المسلمون حياتهم بين الاستبداد والأفيون أنهم محاصرون بين مطرقة السلب وسندان الحجر حيث القوات الهندوسية الشرسة ترجح حكومتها على المسلمين بواسطة تدمير المساجد والمدارس، ورغم ذلك على اتحاد طلبة المسلمين لاستعداد المشاريع لإبعاد التدميريات وصنوف العنف من المجتمعات، وانتشار التعايش والتسامح.

⁶⁸ الدستور: The constitution of the Indian muslim League

Indian Union Muslim League Kerala State ,2

⁶⁹ Kerala: Muslim Students Federation members demand place to hold namaz; Hold the principal hostage for hours, from voice of the nation, organiser,,[Organiser](#)

المراجع والمصادر،

1. الكتاب "ALL-INDIA MUSLIM LEAGUE" تأليفه: MARY LOUISE
2. موقع أهل السنة والجماعة في الهند من ويب wordprees.com
3. البحث: Sir Syed Ahmed Khan: An Architect of Muslim Nationalism in Colonial India بقلم: ذو القرنين حيدر
4. المدارس الإسلامية مهمة للمسلمين في الهند؛ ولكنها بحاجة إلى تحديثها، مقالة من ويب آواز دي ويس
5. البحث: The History of Student Movements in India: A Sociological Account، مؤلف: Amit Kumar Saurabh، من sage journal.
6. الدستور:The constitution of the Indian muslim League
7. 2, Indian Union Muslim League Kerala State
8. Kerala: Muslim Students Federation members demand place to hold namaz; Hold the principal hostage for hours, from voice of the nation, organiser,,,,Organiser

الهجرة النبوية: لمحات أضاءت صحائف التاريخ الإسلامي دراسة التي تشكل أسود التاريخ الحقيقي الإسلامي

المقدمة

إنّ الهجرة النبويّة واحدة من أعظم القصص التاريخيّة على مرّ الدهور والأعوام، هي هجرة عظيمة فاصلة لصفحة البشريّة جمعاء من عتمة الجهالة والضلال والفساد إلى نور اهتدت به آلاف سفن حائرة وضالّة، هي تحكي لنا صفحات قصّتها مسطورة بدموع وآهات، تبدأ هذه المرحلة التاريخيّة من أجواء مكة الفاسدة التي كانت غير قابلة لزرع بذور الدعوة والنور في نفوس الذين حاربوها منذ نشأتها، إذ الاجتهادات الطويلة لمدة ثلاث عشرة سنة لم تقدر أن تنتج نتاجا ولم تستطع أن تثمر ثمرا إلّا أنّ النبيّ الحبيب واجه مشكلات ومصائب مريرة، فهاجر الرسول مع أصحابه بهجرة نقلّ العالم بأسه من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، فاتحة عهد جديد في القوميّة الإنسانيّة، إذ حدث حدثا تاريخيا أضاءت به صحائف التاريخ الإسلامي، إذ إنطلق الإسلام في مثل هذه الواقعة من ضيق مكة المكرمة لكفّارها إلى سعد المدينة المنورة لوسعتها حتّى عمّ النور وطمّ بكلّ أرجاء المعمورة ونواحيها، وتمثل درسا وعبرة في بيان قيم الإنسانيّة والسلامة

من الهجرة النبوية الشريفة التي هي تنجز بشكل عظيم كما أثارها قد تبقى حتى وقعت القيامة، هذه قصة أولئك الأبطال من المهاجرين الذين تفانوا بنفوسهم، وصفت أفئدتهم، ونضجت عاطفتهم الدينية، وهجرت أنفسهم مع الرسول من بلاد مكة آنذاك تتسكع في غياهب الظلمة والفساد وتغشى في عتمة الظلم والجور إلى بلاد يثرب هي المدينة التي تغرس فيها الحضارة الإسلامية الراقية الساقية والثقافة المحمّدية النورانية السامية، والهجرة قدرت لها منجزات سائقة وتمت بها مساهمة عظيمة في تطور الثقافة الإسلامية من بقعة تلك المدينة الفوّاحة.

بيئة فاسدة تلزم الهجرة إلى غيرها

الهجرة ذكرى حية في نفس كل مؤمن⁷⁰، فيها فداء النفوس ضحت في إكمال إيمانهم وتضحياتهم بأن طريقها حققت الحرية للدعوة والداعين، فيها الخيرات تتجدد حاملة العبرة والعظة في المواقف كأنها صراع بين الخير والشر والحق والباطل.

لو نمعن النظر إلى مر التاريخ وجدنا أنّ الله تعالى وضع للبشرية نماذج دعوية خالصة تجسد فيها منهج بناء الوعي، فكانت الدعوة النبوية في بداية أمرها على السرية واضحة صارمة، والنبي كان يعد أتباعه ليكونوا قادة الأمم حاملًا مصابيح النور والهدى، و الثغور على حرصه الشديد على هذا التنظيم السري الدقيق⁷¹. وإن حان موعد إعلان الدعوة جهرية شاهقة بنزول الآية: "فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهًا آخر فسوف يعلمون ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون"⁷². حتى صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فهتف يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، فقال: يا بني فلان يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك الكذب، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك أما جمعتنا إلا لهذا؟

⁷⁰ أمين دويدار، الهجرة إلى المدينة المنورة (الناشر دار المعارف 1119، كورنيش النيل، القاهرة ج. م . ع) ص - 3

⁷¹ الصلابي علي محمد، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار المعرفة، بيروت ، ط 7، 2008، ج 1، ص 93-95

⁷² سورة الحجر الآيات 94-97

ثم قام⁷³. كان صدعها نتيجة للأعراض والسخرية والإيذاء والتكذيب حتى أصبح الناس في مكة يتناقلون أخبار ذلك الصراع في زاويتها، وهم يرفضون الدعوة النبوية وغرسها في أرض أنفسهم المدينة ولذلك جعلت الهجرة من الرسول وأتباعه لهذه الأسباب:

1. اعتراض المشركين عن الدعوة والرسالة الخالدة

الإجماع المشركين وعبت آلهتهم وسفهمت أحلامهم وآرائهم وأفكارهم عن الله والكون، فاتخذوا العديد من الآلهة واشتدت كبرياء قريش على أن رسوله بشرا كالعبد، هذا ولما هتف النبي قريش بأنه نذير لهم فقال أبو لهب: تبا لك، حتى زاد خوف قريش إقبال الدعوة على أن الرسول كالعبد، فمن ثم جمعت قريش كيدها لهذا التيار الذي يهدد مصلحتهم المادية السياسية، إذا صار يدعو إلى ديانة إبراهيم فماذا يبقى لهم بعد ذلك؟⁷⁴⁵.

2. عام الحزن وازدياد الانداف على رسول الله

فترة كانت عسيرة شاقة وقسوة ومشقة وكانت منبعاً من منابع الخير للدعوة، لأن قلوب العرب عطفت على بني هاشم وبني مطلب ولقت أنظارهم إلى هذه الدعوة التي يلقي محمد في سبيله كل هذا العناء، حتى أقبل على الإسلام كثير من الناس وأسلموا. فكانت هذه الفترة أهدأ فترة قضاها المسلمون، منذ أخذت قريش على فتنهم. وكما أثرت وفاة خديجة وأبي طالب في عام واحد التي بها وصل النبي الكساد الكبير لزوجته الوفية خديجة وأبي طالب⁷⁵ وبأن هذا العام يسبب الهجرة النبوية.

3. خروجه إلى الطائف وحظره عن الدعوة

هي واقعة ندامة وحسرة وكذلك مسرح دمة وآهات، تتجلى في وقائع الشريف شففته العظيمة على الأمة حتى أنه إذ يخرج إلى الطائف لدعوة الإسلام بعد ما نفذها كفار قريش في مكة، في فرصة هتف النبي الناس فلبث ساعة لا حركة فيها حتى آهة دهشة في أفواه الناظرين ودعاهم إليه

⁷³ رواه مسلم في صحيحه، تح: أبو قتيبة نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض 1426، ج1، ص 141-142 عن ابن عباس

⁷⁴ عبد القدوس الأنصاري: طريق الهجرة النبوية

⁷⁵ أمين دويدار، الهجرة إلى المدينة المنورة (الناشر دار المعارف 1119، كورنيش النيل، القاهرة ج. م. ع) ص 6

بالكلمات المتألقة الأسرة ونصاعة بيانه الجادرية وهم لا يتقفون العقول ورجموا على النبي الشفيق حتى أُرقت منها الدماء، وشددوا الأذى عليه وصحابته⁷⁶.

4. ظهور بيئة جديدة مناسبة للدعوة

أمر رسول الله أصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة، والحق بإخوانهم من الأنصار، وأقام رسول الله في مكة المكرمة؛ ينتظر الإذن من الله بالهجرة إلى المدينة المنورة⁷⁷، لأن الاستجابة كانت من أهل المدينة المنورة (يثرب) في بيعة العقبة الأولى التي بايع محمد فيها اثنتا عشرة رجلاً من الأوس والخزرج⁷⁸. وفي البيعة الثانية بايعه ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، بايعه على حرب الأسود والأحمر من الناس لذلك سميت بيعة الحرب⁷⁹، لذا هاجر النبي إلى الحق من الباطل أينما رفضت دعوته النبوية من أهل قريش.

الهجرة مرت من المسلمين قاسية

الهجرة كانت من مكة إلى المدينة بعد ما لبث النبي ثلاثة عشر عاماً في أرض مكة وأعلن الدعوة جليلة بعد الأمر من الله تعالى، وبدأت السخرية والإيذاء من قريش للنبي ولأصحابه حتى قال أبو لهب: تبا لك يا محمد⁸⁰¹، وبينهم بعض النفوس من تلك البقعة النائية صفت بالدعوة النبوية أرواحهم وقلوبهم زكت من عتات الجور، والبعض رفضوا مباشرة وشددوا النبي بالأذى شاقة.

الهجرة الأولى إلى الحبشة

كانت الهجرة الأولى في الإسلام إلى الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدين الكفار الذين ضاقوا سبيل المؤمنين لاحتضان الدعوة الإسلامية⁸¹، الهجرة إلى الحبشة وملكها لا يظلم عنده أحد، وهي

⁷⁶ صفى الرحمن المباركفوري : رحيق المختوم، إدارة الشؤون الإسلامية، دولة قطر، 2007م

⁷⁷ أبي الحسن الندوي، كتاب السيرة النبوية، صفحة 232-233.

⁷⁸ ابن هشام: المصدر، ج1، ص 443-431، ابن الجوزي عبد الرحمن على بن محمد ت 597هـ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو

الحسن على الحسني: السيرة النبوية، دار ابن كثير، ص 226

⁷⁹ ابن هشام: المصدر السابق، ج1، ص 454، الندوي: المرجع السابق، ص 232

⁸⁰ صفى الرحمن المباركفوري : رحيق المختوم من بحث السيرة النبوية، إدارة الشؤون الإسلامية، دولة قطر، 2007م

⁸¹ عبد القدوس الأنصاري: طريق الهجرة النبوية

أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه، ولكن الملك لا يؤمن بعد وصله تبليغ الإسلام، وإذ لم يكن مكان أصلح الحماية والإيواء من الحبشة، لم تكن تصلح أن تكون مركزا للدعوة، و معقلا للدين، ولهذا لم يفكر النبي الهجرة إليها، ولم تكن قريش تتركه يدعو في هدوء، وإنما تتبعت خطوة، وبعث الجاسوس إلى الحبشة لرجوع المسلمين، ولكن الملك كان صادقا ذا فطن حتى أنه لا يأمرهم. و النبي سعى سعيا دؤوبا، وحرصه على تبليغ دعوته كان لا بد أن يؤتي ثماره. انتقلت تبعيته إلى أهل يثرب، ولهذا أخفى المتبايعون أمر هذه البيعة عن قريش؛ لأن الفترة كان بين إتمام هذه البيعة⁸².

تجهيز الهجرة إلى المدينة

كانت الهجرة النبوية بأفراد وجماعات، ولم تقف قريش إزاء هذه الهجرة مكتوفة اليدين، فحاولت أن ترد من استطاعوا رده، لتقتنه في دينه، فقد هاجر معظم المسلمين، وبقي النبي في مكة، وقريش وقعت في الحيرة: أهو يهاجر مع أصحابه أم لا؟، حزمت قريش أمرها، واتخذت قرارها بقتله قبل أن تفلت الفرصة من بين أيديها، باختيار شاب قوي من بين أبنائها، وقد سجل القرآن الكريم نبأ هذه المؤامرة الخسيسة في قوله تعالى: ”وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين“⁸³. لذا عزم النبي على الأسباب التي تضمن نجاح هجرته إلى المدينة التي ترتب عليها قيام دولة الإسلام واتساع رقعتها، وسطوع حضارتها.

وصول إلى المدينة واستقبالها

في يوم الإثنين وصل النبي على أرض قدس وصدق المدينة، الموافق 12 ربيع الأول للسنة الأولى من الهجرة حتى بدأ العمل الجاد، حتى أكمل رسالته على نحو لا مثيل له في تاريخ الإنسانية، طلبا الأمن والعدل في ظل الإسلام، و التماسا لبركة مجاورة النبي، وكأن سكانها

⁸² دروس من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم: الحياة نيوز، السبت - 30 يوليو - 2022 / 07:1 مساء، السيرة النبوية: لأبي الحسن علي الحسيني، رحيق المختوم: لصفي الرحمن المباركفوري.....

⁸³ سورة الأنفال: الآية 30

أصبحوا على الصدق والأمانة، وأصبحت هناك صعوبة بالغة في استكمال الدعوة التي تحتاج إلى دولة حتى تنجح راسلتها.

المدينة زحفت كلها للاستقبال، صغارا وكبارا، نساءً وكانت كيفية الاستقبال بالأشعار والدف ما يطفح السرور من أوجه مدينة: كما إن مر النبي صلى الله عليه وسلم بحي من بني النجار؛ وإذا جوار صغار يضربن بالدف ويقلن:

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

منجزات الهجرة النبوية المباركة وآثارها

هؤلاء أصحاب الرسول جاءوا إلى البلاد آنذاك اهتم السلامة والديانة على الصراع و الصدق على الكذب بأن النبي أخذ الهجرة إليه حيث حققت نتائج عظيمة لرسالة الإسلام على مطامح الدعوة وأهدافها، ومن أهم منجزاتها: أول، تثبيت عقيدة التوحيد أساسية و نظرة عامة التي عززت بممارسات العملية لتحقيق الفكرة لا إله إلا الله، مما سكان المدينة أدركوا العقيدة الوحيدة في دوام المجتمع⁸⁴.

الثاني، تنظيم المجتمع في المدينة: كان مجتمع مكة تنافرا بين عشائر المدينة، واختلافا في الديانات، وكان أول عمل قام به تخطيط الدور للمهاجرين (فخط لبني زهرة في ناحية المسجد، وجعل للزبير بن العوام بقيعا واسعا، وجعل لطلحة موضع داره ، ولآل أبي بكر موضع دارهم، وخط لعثمان موضع داره كذلك)⁸⁵. وقد سعى الإسلام بقصارى جهده أن يكون هذا المجتمع متحدا متمسكا. الثالث، بناء المسجد مقر القيادة ومدرسة الأجيال: مسجد الرسول في المكان الذي بركت فيه الناقة، وكان مركزا إداريا للدولة الفتية⁸⁶. فإن النبي صلى الله عليه وسلم

⁸⁴ صالح أحمد العلي : الإدارة في العهود الإسلامية الأولى، شركات المطبوعات للنشر، بيروت، ص 133-134

⁸⁵ انظر البلاذري : ج 1، ص 270، ابن كثير السيرة

⁸⁶ ابن هشام: المصدر السابق: ج 1، ص 459

قام بعد الهجرة على نمو الحضارة الإسلامية والعملية السياسية، ونشر الدعوة الإسلامية والجهاد بقول: لا يتم الجهاد إلا بالهجرة ولا الهجرة ولا الجهاد إلا بالإيمان⁸⁷.

الخاتمة

الهجرة النبوية ليست مجرد واقعة وحدث نبوي بل كانت رحلة تاريخية طويلة وفاتحة عهد جديد لم يتسنّ للتاريخ أن تأتي مثيلاً له وضريبة، إنها كانت مواسية القلب النبوي الذي كاد أن يتكسر صبرا إيذاء المشركين وتشوقاً في انضواء المسلمين، فكانت الهجرة النبوية الشريفة التي بدأت نتائجها بعد إتيان النبي إلى المدينة لإثبات دعائم الدولة الجديدة مع العقيدة الإسلامية الوحيدة، وكانت من أهم خطواته إصدار الدستور الإسلامي في المدينة، وتثبيت العلاقات بين المسلمين واليهود ومشركي المدينة، وكانت على تربية المنهج الإسلامي وتطورت مناهج الدعوة وتأسيس الدولة⁸⁸، فكانت الهجرة إلى المدينة المنورة هجرة حضارية إسلامية أولى التي سقت منها الحضارات المتقدمة إلى اليوم وتولدت كلّ الدول والمدن والثقافات المتقدمة المتطورة اليوم بأعاجيب الخلافة من نيويورك ولندن وأمريكا إلى قطر والكويت وغيرها من الدول والمدن المتقدمة اليوم.

السياسة الهندية بثت البأس وتشويه السياسة الإسلامية لصالح النضال

⁸⁷ انظر تفسير آية 218 من سورة البقرة، ابن قيم الجوزي: ص72

⁸⁸ الصلابي: المرجع السابق: ص277

دراسة سياسية التي تعوق الحقوق

المقدمة

أخطأت الهند بمسؤولية السياسة التي تأجبت من الأخبار الواردة والتي هي تثير العقول لفهم ومفاهيمها وخصائصها، لها استخدام وسوم شجب وبأس بانهدام النقائش الإسلامية وطمس الحقائق الطبيعية التي تدرج في كتاب الدستور. وترسم هذه الأساطير بدماء المسلمين ودموعهم التي تقطر حتى تجمد ليس لها أن تمحو، والأحداث المؤلمة والصعوبة التي يواجهها المسلمون في الهند، والتي تسبب لأن تؤول إلى حرب ضروس بين المجتمعات المختلفة.

ففي خضم هذه السنة 2024، طوت قوات الهندوس الهندية الشرسة صفحة جديدة من مجازرها ومذابحها ضد الإنسانية والبشرية، حتى هذه أخطر من الصهاينة الإسرائيلية التي هي مروعة ومثيرة التي نراها على شاشات الفضائيات لأن الشعب "بهارت جنتا بارتى" BJP تزعم لإقلاع جذور المسلمين دون عزم الفشل وصموده، حيث تعرض المسلمون في الهند الأحداث المؤلمة والتحديات التي أظهرت تصاعد التمييز والاضطهاد بحقهم التي تجاوز بالإرادة والأعمال الجماعية ولكن حكومة ناريندرا مودي تقترح حتى تثير تعديل قانون الأوقاف في ديسمبر، حيث اعتبره المسلمون محاولة للسيطرة على ممتلكاتهم الوقفية وكما المساجد التاريخية هدمت في الولايات مثل في 3 فبراير هدم المسجد التاريخي في ولاية أوتار براديش عدم وجود التصاريح اللازمة. ورغم المواجهات والتحديات المسلمون لا ينتبهون على ذلك بل يداعبون بأعمال أنفسهم حينما تشيع في الأجواء من هضبات الهند شهقات الثكالى واليتامى.

الهند مزيجة من التحديات والفرص

لا شك هناك نقاط رئيسية على التركيز الاقتصادي والسياسي، وهناك التحديات والمواجهات التي بالإرادة والعمل الجماعي يمكن تجاوزها وتصلحها، وكانت الهند لديها تاريخ تليد من العزم والصمود ولكن بعد فوز ناريندرا مودي بولاية ثالثة عام 2024، يدخل رئيس الوزراء الهندي مرحلة جديدة من حكمه وسط تغييرات داخلية واستمرارية في السياسة الخارجية. على الرغم من

أن الائتلاف الحاكم حقق 293 مقعدًا فقط مقارنة بـ 360 في انتخابات 2019، فإن هذه النتيجة شكّلت مفاجأة في ظل توقعات بفوز ساحق. جاء ذلك في وقت شهدت فيه المعارضة مكاسب كبيرة، إذ حصلت 232 مقعدًا مقابل 119 في الانتخابات السابقة، مما يضع مودي في موقع قيادي جديد على رأس حكومة ائتلافية للمرة الأولى منذ 23 عامًا.

على الصعيد الداخلي، تبرز نتائج الانتخابات تراجعًا في تأثير سياسات حزب بهاراتيا جاناتا الطائفية التي تبناها خلال العقد الماضي، بما في ذلك إلغاء الوضع الخاص لكشمير وقانون تعديل المواطنة. ورغم خسارته في دوائر انتخابية حساسة مثل أيوديا، استطاع الحزب الاحتفاظ بـ 240 مقعدًا بفضل مصداقية مودي وضعف البدائل القيادية في المعارضة.

أما السياسة الخارجية، فقد حافظت على استقرارها، خاصة في الشرق الأوسط. فقد زار مودي خلال ولايته السابقتين دول الخليج كافة باستثناء الكويت، ما جعل المنطقة أكبر شريك تجاري للهند بنسبة 15.8% من تجارتها، متجاوزة الاتحاد الأوروبي. كما أسس لعلاقات استراتيجية مثل مجموعة "I2U2" و الممر الاقتصادي بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا.

رغم تحديات الداخل، يُتوقع أن تُركّز ولاية مودي الثالثة على تعزيز الإصلاحات الاقتصادية ودفع الهند لتصبح ثالث أكبر اقتصاد عالمي قبل انتخابات 2029، مع الحفاظ على استقلالية سياستها الخارجية، التي تمثل نموذجًا للتوازن بين القوى العالمية المتنافسة.

الهند ليست ديمقراطية

الهند، التي طالما تباغت بكونها "أكبر ديمقراطية في العالم"، تواجه اليوم تحديات خطيرة تهدد روح العدالة والمساواة التي قامت عليها منذ استقلالها في عام 1947. تحت قيادة ناريندرا مودي، رئيس الوزراء منذ 2014، باتت القيم الديمقراطية على المحك. فمنذ وصوله إلى السلطة، تعرضت الأقليات الدينية، لا سيما المسلمون، لحملة متزايدة من التمييز والتهميش. وقد

أشار مراقبون وحقوقيون إلى أن سياسات الحكومة الحالية تقوّض المبادئ الأساسية للديمقراطية، حيث تم توظيف أجهزة الدولة لتحقيق أجندات طائفية وسياسية.

يلاحظ أن تعديلات القوانين، مثل قانون تعديل الجنسية لعام 2019 (CAA)، قد استثنت المسلمين بشكل واضح، مما أثار احتجاجات واسعة واعتبره كثيرون انتهاكاً لمبدأ المواطنة المتساوية المنصوص عليه في دستور الهند. إضافةً إلى ذلك، شهدت السنوات الأخيرة ارتفاعاً ملحوظاً في جرائم الكراهية ضد المسلمين، مع تواطؤ واضح من السلطات في بعض الحالات، أو حتى إهمال متعمد.

إن الديمقراطية الحقيقية لا تُقاس فقط بإجراء الانتخابات، بل بتحقيق العدل وتكافؤ الفرص لجميع المواطنين، بغض النظر عن دينهم أو عرقهم. ومع استمرار هذه السياسات، يخشى المراقبون أن تنزلق الهند نحو نظام شمولي يفرغ الديمقراطية من مضمونها، مما يجعل وصفها بـ"الديمقراطية" أمراً شكلياً أكثر منه واقعياً.

الهند مقبرة المسلمين

الهند، التي كانت موطناً لتعايش الثقافات والحضارات، أضحت في السنوات الأخيرة مقبرةً للمسلمين بفعل سياسات القمع والتمييز المنهجي التي تستهدفهم. فمنذ وصول حزب بهاراتيا جاناتا (BJP) إلى السلطة عام 2014 بقيادة ناريندرا مودي، شهد المسلمون في الهند موجة غير مسبقة من العنف الطائفي، والقوانين المجحفة، والممارسات العنصرية.

في عام 2019، أقر البرلمان الهندي قانون تعديل المواطنة (CAA)، الذي يمنح الجنسية للاجئين من جميع الأديان ما عدا المسلمين، ما أثار احتجاجات واسعة النطاق قابلتها الحكومة بالقمع الوحشي. كذلك، جاءت الحملة ضد الأضاحي والحجاب والأذان لتؤكد أن الحرب على الهوية الإسلامية ليست عشوائية بل منظمة.

وفي ظل تفشي خطاب الكراهية، انتشرت جرائم الإعدام خارج نطاق القانون بحق المسلمين، تحت مزامم مثل "ذبح الأبقار"، والتي تصاعدت إلى 50 حالة موثقة بين عامي 2015 و2019. وعلى الرغم من توثيق المنظمات الحقوقية المحلية والدولية لهذه الجرائم، إلا أن العدالة غابت عن المشهد، حيث ينعم المتطرفون غالبًا بالحماية الرسمية. هذا الواقع يجعل المسلم في الهند يعيش بين سندان الفقر والقمع، ومطرقة محاولات محو هويته الدينية. ومع تزايد هذه الممارسات، أصبحت الهند بالفعل "مقبرة المسلمين"، حيث يُدفن الحق جنبًا إلى جنب مع أجساد الضحايا الأبرياء.

إن السياسات الهندية تحت قيادة ناريندرا مودي تمثل تحولًا مثيرًا للقلق، إذ انحرفت البلاد عن قيم التعايش والديمقراطية التي طالما ميزتها، إلى سياسات تمييزية تستهدف الأقليات، وفي مقدمتها المسلمون، بشكل ممنهج. هذه السياسات لا تهدد فقط وحدة النسيج الاجتماعي في الهند، بل تُلقي بظلال قاتمة على مستقبل الديمقراطية في هذه الدولة التي كانت تُعد رمزًا للتنوع والتعددية. وفي عالمٍ يشهد تغيرات متسارعة، يبدو أن الهند تختار مسارًا يعمق الانقسامات ويكرس الهيمنة الدينية والثقافية. إن محاولات تشويه صورة المسلمين وتهميشهم لا تؤثر فقط على حقوق ملايين المواطنين، بل تشكل أيضًا ضربة قاسية لمكانة الهند على الساحة الدولية كدولة ديمقراطية تلتزم بحقوق الإنسان والمساواة. إن الهند اليوم ليست مقبرةً للمسلمين فحسب، بل تحولت إلى مقبرةٍ للديمقراطية التي طالما تغنت بها. إن استعادة روح الهند الحقيقية تتطلب جهدًا من المصلحين والمجتمع المدني، أولئك الذين لا يزالون متمسكين بحلم الهند العادلة والمتسامحة، الحلم الذي يجب أن يبقى حيًا مهما اشتدت الأزمات و احتدمت التحديات.

الأحداث التي وقعت خلاف المسلمين في 2024

في عام 2024، تعرض المسلمون في الهند للعديد من الأحداث المؤلمة والتحديات التي أظهرت تصاعد التمييز والاضطهاد بحقهم. ففي ديسمبر 2024، أثار تعديل قانون الأوقاف الذي اقترحته

حكومة ناريندرا مودي جدلاً واسعاً، حيث اعتبره المسلمون محاولة للسيطرة على ممتلكاتهم الوقفية. وفي 3 فبراير 2024، تم هدم مسجد تاريخي في ولاية أوتار براديش بذريعة عدم وجود التصاريح اللازمة، ما أثار غضباً شديداً في المجتمع المسلم. وفي نفس الشهر، سمحت محكمة محلية للهندوس بأداء طقوس دينية داخل مسجد، مما زاد المخاوف من فقدان المسلمين السيطرة على أماكن عبادتهم. كما استمرت حملة "عدالة الجرافات" في سبتمبر 2024، حيث تم هدم منازل المسلمين في ولايات مختلفة دون محاكمات عادلة. في يناير 2024، طالبت منظمة العفو الدولية بوقف هذه الممارسات، بينما أصدرت المحكمة العليا في نوفمبر 2024 حكماً يحد من سلطات الحكومة في هدم الممتلكات دون إذن قضائي. في نفس العام، تم تغيير أسماء مدن ومعالم تاريخية إسلامية مثل "الله آباد"، في محاولة لطمس الهوية الثقافية للمسلمين. كما تم إغلاق عشرات المدارس الإسلامية في ولاية آسام في يونيو 2024، مما أثر على التعليم الديني للمسلمين. وفي نوفمبر 2024، دعت جماعات هندوسية متطرفة إلى مقاطعة المنتجات والخدمات التي يقدمها المسلمون، بينما شهدت منصات التواصل الاجتماعي زيادة غير مسبوقة في خطاب الكراهية ضدهم. بالإضافة إلى ذلك، تم منع الطالبات المسلمات من ارتداء الحجاب في بعض المدارس، مما أثار جدلاً حول الحرية الدينية. كما تم إلغاء تصاريح البناء للمساجد في أبريل 2024، مما عرقل بناء أماكن جديدة للعبادة. في يناير 2024، استمر قانون الجنسية المعدل في إثارة القلق من التمييز ضد المسلمين، وسط تصريحات معادية لهم من بعض السياسيين في مايو 2024، مما زاد من توتر العلاقات الطائفية في البلاد.

تقارير حديثة مع المصادر،

1. التمييز في شمال الهند: أشارت تقارير إلى أن المسلمين في شمال الهند يعانون

من تمييز متزايد تحت حكم حزب "بهاراتيا جاناتا"، بينما تقل التوترات في

الجنوب بفضل التعددية السياسية وارتفاع مستوى التعليم. [Al Jazeera](#)

2. مخاوف يومية: أفادت صحيفة "نيويورك تايمز" بأن المسلمين في الهند يعيشون

في رعب يومي، حيث يشعرون بالتهديد المستمر نتيجة السياسات والممارسات

التمييزية. [Al Jazeera](#)

3. تهميش سياسي: ذكرت تقارير أن عدد المسلمين في البرلمان الهندي يتراجع

سنوياً، مما يعكس تراجع القوة السياسية لمسلمي الهند البالغ عددهم 200 مليون

نسمة. [Euronews Arabic](#)

4. التمييز في التعليم والعمل: أشارت وكالة الأناضول إلى أن المسلمين في الهند

يعانون من التمييز في مجالات التعليم والتوظيف، مما يجعل حياتهم أكثر صعوبة

يوماً بعد يوم. [AA News](#)

5. هدم المساجد وبناء معابد: أفادت تقارير بأن السلطات الهندية قامت بهدم مساجد

للمسلمين وبناء معابد هندوسية مكانها، مما أثار جدلاً واسعاً. [France 24](#)

6. **قوانين مثيرة للجدل:** أعلنت الهند عن تطبيق قانون مثير للجدل للمواطنة يستبعد المسلمين، مما أثار احتجاجات ومخاوف من تهيش أكبر للأقلية المسلمة.

[Yum7](#)

7. **أحكام قضائية مهمة:** في نوفمبر 2024، أصدرت المحكمة العليا في الهند حكمًا تاريخيًا يجب أن يشكل نقطة تحول في حملة الكراهية ضد المسلمين، مما يعطي بصيص أمل في مواجهة التمييز. [Amnesty International](#)

8. **تزايد خطاب الكراهية:** في فبراير 2024، أفادت تقارير بأن 75% من حوادث خطاب الكراهية ضد المسلمين وقعت في ولايات يحكمها حزب بهاراتيا جاناتا الهندوسي، مما يعكس تزايد التوترات الطائفية في تلك المناطق. [Alhurra](#)

9. **"عدالة الجرافات":** في سبتمبر 2024، أصدرت المحكمة العليا الهندية قرارًا مؤقتًا بوقف عمليات هدم المنازل دون إذن قضائي، في خطوة تهدف إلى إنهاء ما يُعرف بـ"عدالة الجرافات" التي استهدفت المسلمين في بعض الولايات.

[Alhurra](#)

10. **قانون الجنسية الجديد:** في يناير 2024، أصدرت السلطات الهندية قانونًا جديدًا للجنسية أثار قلقًا واسعًا بين المسلمين، حيث يُعتقد أنه قد يؤدي إلى تهيشهم في المجتمع الهندي. [Amnesty International](#)

11. **تزايد العنف ضد المسلمين:** في مايو 2024، أفادت تقارير بأن العنف ضد المسلمين في الهند قد تضاعف بعد الانتخابات الأخيرة، مما أثار مخاوف من تصاعد التوترات الطائفية في البلاد.

[YouTube](#)

12. **تزايد التمييز في التعليم والعمل:** في يناير 2024، أصدرت منظمة العفو الدولية تقريرًا يدعو السلطات الهندية إلى وقف سياساتها التمييزية في هدم

ممتلكات المسلمين، مما يعكس التحديات التي يواجهها المسلمون في مجالات
التعليم والعمل.

[Amnesty International](https://www.amnesty.org/)

الوظيفة التعبيرية للمنمنمات

دراسة تحليلية لجدلية الواقع الاجتماعي في رسوم الواسطي ومقابلها في
الصنعة اللفظية لمقامات الحريري

الملخص

يهدف هذا البحث العلمي لغة الحريري المعقدة والمتطورة برسومات الواسطي الواقعية. الفكرة الرئيسية هي أنه بينما ركز النص على العبقرية اللغوية، كانت الصور أداة حيوية غير لفظية استخدمت لتقديم نقد اجتماعي وسياسي مباشر لم يستطع النص المكتوب الرسمي التعبير عنه صراحة. يعالج هذا البحث مع المناهج مثل السيميائية (دراسة العلامات) لتحليل كيفية بناء الصور للمعنى ونقدها. ملتفا إلى المثال، يحلل البحث كيفية استخدام التصوير البصري لشخصية

المخادع، أبو زيد السروجي، والأماكن التي يتحرك فيها، للكشف عن الواقع الاجتماعي وعيوب ذلك العصر.

المقدمة التاريخية الجدلية

هل يمكن للمخطوطة المزدانة بالصور أن تكون سجلاً تاريخياً صادقاً عن الاضطراب الاجتماعي والتفكك الجماعي، تتجاوز وظيفتها الجمالية إلى دور وثائقي؟ إن هذا التساؤل المنهجي هو المدخل إلى تحليل مخطوطة مقامات الحريري، التي تبرز كنقطة ارتكاز فريدة لفهم جدلية الواقع في العصر العباسي المتأخر، حيث يلتقي فيها كمال "الصنعة اللفظية" عند أبي محمد القاسم بن علي الحريري (ت. 516هـ/1122م) بـ "الواقعية التعبيرية" البصرية ليحيى بن محمود بن يحيى الواسطي، الذي قام بتصوير وزخرفة النسخة الشهيرة المحفوظة في المكتبة الوطنية (الأهلية) بباريس (رقم 5847م)، والتي أُجزت عام 634هـ الموافق 1237م. تكمن خطورة هذا العمل في الفجوة الزمنية التي تفصل بين النص وتصويره، حيث جاء الواسطي بعد نحو قرن من وفاة الحريري، ليعمل في بيئة سياسية واجتماعية أشد توترًا واقتربًا من الكارثة، إذ أن بغداد لم تكن بعدُ قد سقطت على يد المغول (1258م) إلا بعقدين من الزمان. هذا السياق التاريخي، الممتد تقريبًا بين 575هـ و 656هـ، شهد محاولات من الخلفاء العباسيين لتثبيت أركان الدولة وإعادة الأمن، ولكنه كان موسوماً بأقوى التناقضات والتحولات الاجتماعية والسياسية، حيث انتشرت فيه عوامل الفساد والنفاق والزيغ المستشري من جهة، وترافقت مع نمو ثقافي وفكري وأدبي ملحوظ من جهة أخرى. وعليه، لم يكن دور تصوير الواسطي يقتصر على مجرد الشرح والإيضاح للمتن الأدبي، بل تجاوز ذلك ليصبح أداة مستقلة وشهادة بصرية على الواقع المادي المعيش، مسجلاً تفاصيل الحياة اليومية كما هي، لا كما يُتَمَنى أن تكون. إن هذا البحث يسعى إلى الكشف عن آليات الوظيفة التعبيرية التي استخدمها كل من الحريري والواسطي للتعبير عن هذا الاضطراب، حيث وظف الحريري البلاغة المفرطة كـ "قناع أدبي" للنقد، بينما وظف الواسطي

التوثيق البصري المباشر كاحتجاج صامت ، مما جعل المخطوطة المصورة مرآة مزدوجة، لفظية وبصرية، لجدلية الواقع الاجتماعي المعقد في ذلك العصر المضطرب.

مراجعة الأدبيات

مراجعة الأدبيات محورية معتبرة لترسيم حدود هذه الدراسة وتحديد الفجوات المعرفية التي تسعى لمملئها، وهي تستند إلى فرعين رئيسيين من الدراسات: الأول يتعلق بتحليل فن المقامة عند الحريري ووظيفته الاجتماعية واللغوية، والثاني يركز على التحليل الفني والوثائقي لمنمنمات الواسطي. في سياق تحليل مقامات الحريري، ركزت الدراسات الأدبية على القيمة البلاغية واللغوية، حيث تم وصف المقامات بأنها قمة في "الصناعة اللفظية" ، التي جمعت "متخير الألفاظ" مع "إحكام السبك" ، مع الإشارة إلى الإغراق في البديع والمحسنات، كالسجع الكامل والجناس والطباق والمقابلة. هذه التقنيات اللفظية الفائقة تم تناولها في ضوء "شعرية المفارقة" ، حيث يرى الباحثون أن هذا الإغراق البلاغي كان استراتيجية ساخرة و"قناعاً أدبياً" يسمح بتمرير النقد اللاذع للأزمات الاجتماعية والسياسية والأخلاقية ، وكشف الزيف والنفاق المستشري في المجتمع العباسي المتأخر. كما أولي اهتمام خاص لشخصية أبي زيد السروجي، حيث تم تحليلها بوصفها "نمط شخصية الناقد الاجتماعي" الذي يتقمص الأدوار التمثيلية ويخبر ماهية علاقات الناس وكيفية تعاملهم ، مما يؤكد توظيفه الناجح ضمن البنى الثقافية والاجتماعية والنفسية للعصر. أما في القسم الفني، فتمحورت الدراسات حول مدرسة بغداد في التصوير وأسلوب الواسطي تحديداً، حيث تم التركيز على تميز هذه المدرسة بكونها "عربية أكثر منها إيرانية" ، وبخصائصها الفنية التي تشمل إهمال النسب القياسية والبعد الثالث والمنظور ، والميل نحو التسطيح، مما منح الواسطي "حرية الحركة والتعبير" وقدرة فائقة على تصوير الجموع والضجيج. وقد أشارت الدراسات الحديثة إلى أن الهاجس الأبرز للواسطي كان "الحرية في التعبير التشكيلي" ، وأن رسومه كانت ذات طابع وثائقي يسجل تفاصيل الحياة اليومية دون تملق أو تحيز، بما في ذلك مشاهد اللهو ، مما جعله "يقراً الواقع كما هو، لا كما يتمنى أن يكون". وفي الإطار المقارن، تناولت بعض الأبحاث جدلية الصورة والنص، خاصة في تصوير الواسطي لـ "المكان المغلق" ، حيث طرحت تساؤلات حول تجاوز الصورة للنص الأصلي. وتعتبر

هذه الدراسات نقطة انطلاق هامة في فهمنا لكون الصورة أصبحت وسيلة تواصلية غير لفظية تضمنت "نقدًا سياسيًا لا يمكن البوح به بشكل مباشر". لكن الفجوة التي تسعى هذه الدراسة إلى سدّها تكمن في أن التحليلات لم تُركز بشكل كافٍ على الوظيفة التعبيرية الموحدة لآليتين متناقضتين (البديع اللفظي مقابل الواقعية البصرية) في سياق الفجوة الزمنية التي تبلغ مائة عام بين النص وتصويره. الدراسات لم تفصل العلاقة بين الإغراق اللفظي كقناع والإضافة البصرية (مثل مشهد المقامة 43 البانورامي) كوثيقة، وتأثير ذلك على تحول العمل من مجرد فن ساخر إلى سجل تاريخي بصري للانهييار الاقتصادي والاجتماعي. لذا، فإن الدراسة الحالية تركز على التجاوز البصري للواسطي كـ "إطار اقتصادي واجتماعي" يغني النص الأدبي ويحوّله إلى وثيقة نقدية شاملة.

إشكالية الدراسة وأسئلتها البحثية

إشكالية الدراسة منطلقة من التناقض الجوهرى في الوسائل التعبيرية المستخدمة في مخطوطة مقامات الحريري المصورة بالواسطي، والتي تعد سجلاً لجدلية الواقع الاجتماعي في العصر العباسي المتأخر. في النص الأدبي يعتمد على الصنعة اللفظية المفرطة (الإغراق في البديع) لتمويه النقد والسخرية، بينما تعتمد المنمنمات البصرية على الواقعية التعبيرية والتوثيق المادي المباشر، وتظهر هذه الإشكالية بقوة أكبر في ضوء الفجوة الزمنية التي تبلغ قرناً كاملاً بين تأليف النص وتصويره، حيث عمل الواسطي في بيئة أشد اضطراباً وعلى وشك الانهيار السياسي.

لذا، فإن الإشكالية المحورية تتمحور حول: كيف استطاعت آليتان تعبيريتان متناقضتان (التurf اللفظي والواقعية البصرية) أن تتكاملا لخدمة وظيفة نقدية ووثائقية موحدة للواقع الاجتماعي المضطرب، وهل شكلت منمنمات الواسطي، بفعل الإضافات والتجاوزات البصرية، وثيقة تاريخية اجتماعية تتفوق على النص الأصلي في كشف الواقع المادي والمعيشي؟

تتفرع من هذه الإشكالية الأسئلة البحثية الآتية التي ستوجه التحليل:

1. ما هي الخصائص البلاغية الدقيقة لـ "الصنعة اللفظية" عند الحريري (كالسجع والجناس والطباق) ، وكيف وظف الحريري هذا "الإغراق في البديع" ك إستراتيجية للسخرية وكنفذ اجتماعي مغلف لتمثيل "الكذبة" وفساد العصر ؟
2. ما هي السمات الفنية المميزة لـ "الواقعية التعبيرية" عند الواسطي (بما في ذلك إهمال المنظور الهندسي، وتصوير الحركة والجموع) ، وكيف تجسدت "الحرية في التعبير التشكيلي" لديه في كشف تفاصيل الحياة اليومية والمحظورات الاجتماعية والتوثيق الوثائقي للواقع ؟
3. كيف تجاوزت رسوم الواسطي النص الأصلي للحريري (مثال المقامة الثالثة والأربعون) ، وما هي الوظيفة التعبيرية والفكرية لهذه الإضافات البانورامية البصرية في تقديم "الإطار الاقتصادي والاجتماعي" للقصة، بدلاً من الاكتفاء بالوصف الأدبي؟
4. ما هو تأثير الفجوة الزمنية (100 عام) بين النص والصورة على الوظيفة التعبيرية للمخطوطة، وهل تحولت المنمنمة بفضل هذه الفجوة من مجرد شرح أدبي إلى وثيقة تاريخية اجتماعية تسجل الضجيج البشري والاجتماعي الذي كان على وشك الانهيار العباسي ؟

المواد والمنهجية والأطر النظرية

لتحقيق أهداف الدراسة والإجابة على أسئلتها البحثية، تم اعتماد خطة منهجية صارمة تعتمد على الأدوات والمواد النظرية المناسبة لتحليل العلاقة المعقدة بين النص والصورة. المواد والمصادر الأساسية: تعتمد الدراسة كمادة أولية على مخطوطة مقامات الحريري، النسخة المصورة بالواسطي والمؤرخة بعام 634 هـ/1237 م (المعروفة باسم "شيفر حريري" والم محفوظة في المكتبة الأهلية ببائيس، رقم 5847 م). سيتم التركيز التحليلي على منمنمات

محددة تخدم الإشكالية، مثل المشاهد التي تصور الكدية والجموع (ك-مشاهد أبي زيد السروجي وهو يستجدي) ، والمشاهد التي تُظهر تجاوز الواسطي للنص الأصلي (مثل المشهد البانورامي للقرية في المقامة الثالثة والأربعين، المقامة الكرجية، الذي يوثق الواقع الاقتصادي). وسيتم تحليل النصوص المختارة من المقامات التي تُظهر الإغراق في الصنعة اللفظية، مثل المقامة السابعة عشرة (الفهقرية) التي تعتمد على التلاعب البديعي المفرط.

المنهجية والأدوات التحليلية: تتبع هذه الدراسة المنهج التحليلي المقارن (Analytical-Comparative Methodology):

1. التحليل اللغوي والأسلوبي: سيتم تحليل نصوص المقامات للكشف عن الآليات الدقيقة لـ "الصنعة اللفظية" (ك-أشكال السجع الكامل، والجناس، والطباق) ، وتفكيك كيف يخدم هذا الأسلوب النقد الاجتماعي المغلف.
2. التحليل التشكيلي والبصري: سيتم تحليل منمنمات الواسطي عبر تفكيك عناصرها التشكيلية (مثل التكوين، استخدام الألوان، طريقة رسم الشخص، وتقنيات إظهار العمق)، للكشف عن "الواقعية التعبيرية" وتأثيرها الوثائقي.
3. المقارنة الجدلية: تتم مقارنة التناقض بين الإغراق اللفظي (الحريري) والتوثيق البصري (الواسطي) لتحديد الوظيفة التعبيرية الموحدة في كشف جدلية الواقع. كما سيُقارن النص الأصلي بالرسوم المضافة التي تتجاوزه (ك-المقامة 43) ، لدراسة تحول الصورة إلى وثيقة مستقلة.

الأطر النظرية: تعتمد الدراسة على إطارين نظريين رئيسيين لتعميق التحليل:

1. النظرية السوسيولوجية للفن والأدب (Sociological Criticism): يتم توظيف هذا الإطار للنظر إلى المقامات والمنمنمات بوصفها نصوصاً ثقافية تعكس "طبيعة الحياة

الاجتماعية والسياسية" ، وتوثق الاضطراب والفساد المستشري. هذا الإطار يسمح

بتفسير "الحرية التعبيرية" للواسطي كمنهج في مواجهة الواقع وتقديم النقد الصامت.

2. شعرية المفارقة (Poetics of Irony): يتم استخدام هذا الإطار، المستمد من الدراسات

الحديثة حول المقامات ، لتفسير كيف أن استخدام الحريري للغة الفخمة والمتألقة لخدمة

موضوعات الكدية والفقر، يخلق مفارقة حادة، وهي الآلية الأساسية التي استخدمها

لتمرير نقده الاجتماعي بشكل آمن.

مقامات الحريري: الإغراق في الصنعة اللفظية كآلية للنقد المغلف

إن جوهر المقامات الخمسين التي أنشأها الحريري يكمن في فن "الصناعة اللفظية" التي جعلتها قمة في الآداب العربية، لجمعها "متخير الألفاظ" و"ناصع البيان" مع "إحكام السبك وإشراق الديباجة". لقد بُنيت المقامات على مفهوم "الكدية" (الاحتيال والتكسب) ، وتميزت بكونها حكايات درامية تفيض بالحركة التمثيلية، تنتقل في أسفار متخيلة ما بين "فرغانة وغانة"، وتفرغ في قوالب طريفة من الأدب والنقد والوعظ والفكاهة. الشخصيتان المحوريتان هما الراوي، الحارث بن همام، الذي يمثل الكاسب كثير الاهتمام بأموره ، والبطل، أبو زيد السروجي، المحتال الذي يقوم بفن الخداع والفرار. هذا البطل وظف توظيفاً ناجحاً بوصفه جزءاً من البنى الثقافية والاجتماعية والنفسية ، حيث يتقمص أدواراً تمثيلية متعددة، مثل الفقير المكدي والمشرّد والمحتال ، وهو يمثل "نمط شخصية الناقد الاجتماعي" الذي خبر ماهية علاقات الناس وكيفية تعاملهم، وينجح في خداعهم مستغلاً ذكاءه وفطنته. أما عن آليات الصنعة اللفظية، فتجلت براعة الحريري في الإغراق في المحسنات البديعية ، حيث صاغ المقامات بأسلوب "السجع الكامل" ، ووشاها بألوان البديع من جناس وطباق ومقابلة وموازنة ، بالإضافة إلى الاستخدام المبدع للتشبيه والاستعارة والكناية. وقد تجاوز الحريري حدود البلاغة المعتادة إلى أساليب معقدة تبرهن على قدرته اللغوية الفائقة، مثل تأليف رسالة المقامة القهقرية (المقامة السابعة عشرة)، التي تقرأ

كلماتها من آخرها إلى أولها كما تُقرأ من أولها إلى آخرها. إن هذا الإغراق في البديع و"التأنق اللفظي" لم يكن غاية جمالية بذاتها، بل كان يخدم وظيفة تعبيرية أعمق هي شعرية المفارقة. الحريري اختار أفخم وأجمل الأوعية اللغوية ليصب فيها أبشع الحقائق الاجتماعية، مثل الاحتفال والفقر وتدهور القيم، مما جعل النقد الاجتماعي اللاذع يمر عبر هذا التزييق اللغوي كـ "استراتيجية ساخرة"، تسمح بالتعبير عن الأزمات الاجتماعية والسياسية دون تعريض الكاتب للمساءلة في عصر يسوده الاضطراب. ولهذا، تعد المقامات "ديوان ممتع للألفاظ العربية، والنوادر اللغوية، والصناعة اللفظية" التي تعكس واقع العصر العباسي وتناقضاته بشكل وثيق.

منمنمات الواسطي: الواقعية التعبيرية وحرية التوثيق البصري للضجيج الاجتماعي

تنتمي تصاوير يحيى الواسطي إلى مدرسة بغداد، أو مدرسة العراق، التي تميزت بكونها "عربية أكثر منها إيرانية"، وبظهور "مسحة سامية ظاهرة" على الأشخاص، كما تأثرت بأساليب الكنيسة المسيحية الشرقية، كاستخدام أكاليل النور حول رؤوس الأشخاص. يعد الواسطي أحد الفنانين القلائل الذين وصلتنا أسمائهم، بل كان جريئاً في التصريح باسمه كمصور على مخطوطة باريس في عصر كان يواجه فيه المصورون تحقيراً لعملهم. لقد تميز الواسطي بأسلوب فني أظهر "الحرية في التعبير التشكيلي" كهاجس واضح في كل أعماله، حيث ابتعد عن التقاليد الصارمة؛ فعلى الرغم من أن الرسوم العربية عموماً مالت إلى إهمال النسب القياسية والبعد الثالث والمنظور الهندسي (التسطيح)، إلا أن الواسطي طور أسلوباً فريداً في التعبير عن العمق، فلم يعتمد على الظل والضوء وزاوية السقوط كما فعل معاصره ابن الفضل، بل اكتفى بتباين الألوان لفصل عناصر التكوينات واستخدام مبدأ اختفاء الأجسام الخلفية وراء الأجزاء الأمامية. هذا التبسيط الشكلي منح الواسطي "حرية الحركة والتعبير" والقدرة على تصوير الجموع الكبيرة بضجيجها. كانت لوحاته تحمل طابعاً وثائقياً، وهدفه كان "إبراز تفاصيل الحياة اليومية والاجتماعية".

لقد أظهر الواسطي جُرأة كبيرة في التوثيق البصري، حيث صور الحياة اليومية "دون تملق أو تحيز"، بما في ذلك مشاهد اللهو والموسيقى والشراب، ولم يهتم بالقيود الدينية المحيطة بتصوير الأشكال الآدمية. لقد "قرأ الواقع كما هو، لا كما كان يتمنى أن يكون"، مسجلاً بذلك منهجاً مبكراً لما يُعرف اليوم بالواقعية. وتجلت هذه الواقعية في تصوير حركة الحيوانات (خاصة الإبل)، وتفصيل الشخوص في أزيائهم العربية التقليدية، واعتلاء العمامات المتعددة الطيات، وتنوع ألوان اللحي الذي يعكس اختلاف المراحل السنية والأصول العرقية. كما أنه لم يهمل دور المرأة، حيث صورها وركز على تعابير وجوهها. إن قدرة الواسطي على تصوير الحركة البالغة في التكوينات وإكساب المواقف "خاصة الإحساس بالصور والضجيج والحركة" من مجرد صورة صامتة، تؤكد وظيفته التعبيرية كشاهد بصري على الحيوية الاجتماعية المضطربة لعصره.

جدلية النص والصورة: التجاوز البصري للواسطي وتضمين الواقع الاقتصادي

تمثل منمنمات الواسطي حواراً معقدًا مع نص المقامات، لا يقتصر على التناظر (الترجمة البصرية)، بل يصل إلى مستوى التجاوز (الإضافة الوثائقية)، مما يعكس جدلية الواقع الاجتماعي. في مستوى التناظر، نجح الواسطي في تجسيد الوصف المسرحي والدرامي للنص، حيث كانت رسومه بمثابة شرح بصري للمتن الأدبي. فقد جسّد حركات أبي زيد السروجي بدقة، مصوراً مشهد استجداء البطل بحماسة بالغة وإشراك بدنه كله في التعبير عن قضيته، مما يؤكد الطبيعة الدرامية الحركية للنص المقامي. كما أنه ترجم الأبعاد النفسية والاجتماعية التي وصفها الحريري، لاسيما هيئات أبي زيد المتكسب والمحتال. لكن النقطة الأقوى في الجدلية بين الواسطي والحريري تكمن في تجاوز الصورة للنص الأصلي؛ فلم يكتف الواسطي بشرح المتن، بل وصل إلى مرحلة أعمق، حيث حاول عكس جوانب حياتية في الرسوم تتجاوز ما يخبر به النص الأدبي، ليعطيه أبعاداً أعمق من مجرد الرسم التوضيحي. ويظهر هذا التجاوز بشكل واضح في المقامة الثالثة والأربعين (المقامة الكرجية)، حيث صور الواسطي القرية في مشهد

"بانورامي" واسع. هذا المشهد تضمن تفاصيل دقيقة للحياة اليومية شملت المساجد، والسوق، والحيوانات، والعادات، والأثاث، وعمليات غزل الصوف، والزراعة. الملاحظ أن القصة الأصلية للمقامة لم تتطلب كل هذه التفاصيل الوثائقية، لكن الواسطي أضافها في خلفية اللوحة بهدف منح المشاهد "الإطار الاقتصادي والاجتماعي" لأحداث القصة. إن الواسطي بهذا الإجراء لم يكن رساماً فحسب، بل كان مؤرخاً بصرياً، يقدم "لوحة واقعية تمثل حياة القرية في عصره"، مثرياً النص بالمعرفة عن "الواقع الاقتصادي" للناس. هذا التضمين البصري يمثل تأكيداً لاستقلالية الفن البصري كوثيقة للواقع، وتحويله إلى وسيلة تواصلية غير لفظية تضمنت "نقداً سياسياً لا يمكن البوح به بشكل مباشر". فبينما استخدم الحريري الإغراق اللفظي لتزويق الواقع ونقده ببراعة، قام الواسطي بتجريد الواقع من هذا التزويق اللغوي، وأعاد تعريفه بصرياً عبر التفاصيل المادية الملموسة، مسجلاً بذلك شهادة على واقع متدهور.

المناقشة والنتائج

لقد كشفت عملية التحليل المقارن بين الصنعة اللفظية في مقامات الحريري والواقعية التعبيرية في منمنمات الواسطي عن تلاقي مسارين فنيين متناقضين جوهرياً، ولكنهما متكاملان وظيفياً، في مهمة توثيق وكشف جدلية الواقع الاجتماعي في العصر العباسي المتأخر. إن النتائج تؤكد أن كلا من الحريري والواسطي استخدام أدواتهم للتعبير عن حالة الاضطراب والفساد المتغلغل في صلب اليومي والمعيشي، ولكن بآليات مختلفة تماماً: حيث اعتمد الحريري على التعقيد والترف اللفظي للتصوير، بينما اعتمد الواسطي على التبسيط والوثائقية البصرية للكشف والمواجهة. في إجابة على التساؤل الأول حول وظيفة الصنعة اللفظية، تبين أن الحريري، ببراعته التي لا مثيل لها، وظف "الإغراق في البديع والمحسنات"، مثل السجع الكامل، والجناس، والطباق، لا كغاية جمالية صرفة، بل كإستراتيجية ساخرة للنقد الاجتماعي و"قناع أدبي".

المقامات بأسلوبها المتأنق تمثل "ديواناً ممتعاً للألفاظ العربية، والنوادر اللغوية"، وهذا الترف اللغوي الهائل سمح بصب موضوعات الكدية والاحتيال والفساد المستشري، ضمن قالب مقبول

ومدهش. إن هذا التناقض بين فخامة الشكل ومضمون الاضمحلال هو ما يمثل شعرية المفارقة في مقامات الحريري ، حيث كان هذا الأسلوب هو الوسيلة الوحيدة للتعبير عن "الأزمات الاجتماعية والسياسية والفكرية" التي نشأت عن اضطرابات العصر دون التعرض للمساءلة في بيئة سياسية متقلبة.

أما في المقابل، وفي إجابة على التساؤل الثاني، فقد جاء الواسطي ليُبطل مفعول هذا القناع اللفظي ويستبدله بواقعية بصرية مباشرة. لقد منحته خصائص مدرسة بغداد التي مالت إلى "إهمال النسب القياسية للعناصر" و"التسطيح" وإهمال البعد الثالث والمنظور ، إلى جانب اعتماده على "تباين الألوان" و"الخط المحدد حول الأشكال" للتعبير عن العمق ، قدرة استثنائية على "الحرية في التعبير التشكيلي". هذه الحرية مكنته من تصوير الجموع والحركات والضجيج ، مع التركيز على التفاصيل الاجتماعية الدقيقة، وتصوير الواقع "كما هو، لا كما يتمنى أن يكون". وقد شملت واقعيته الجريئة توثيق مشاهد الحياة اليومية التي قد تُعتبر محظورة في بعض الأوساط الدينية، مثل مجالس اللهو والشراب، متجاهلاً القيود الدينية ، وبذلك تحولت المنمنمة إلى سجل حي يعكس التناقضات الحادة والاضطراب في تلك الحقبة. إن هذه النتائج تؤكد أن الآليتين، رغم تباينهما، كانتا تهدفان إلى تأكيد وجود المرض الاجتماعي، ولكن بطريقتين متعاكستين: أحدهما عبر التكثيف اللفظي البديعي، والآخر عبر التوثيق البصري العيني.

تتعمق المناقشة في الإجابة على التساولين الثالث والرابع، حيث تبرز نقطة الفصل الجوهرية بين دور النص ودور الصورة، وتأكيد استقلالية المنمنمة كوثيقة تاريخية-اجتماعية. ففي إجابة على التساؤل الثالث حول تجاوز الواسطي للنص الأصلي، أظهر التحليل أن الواسطي لم يكتفِ بمجرد الشرح أو التوضيح للمتن الأدبي ، بل وصل إلى مرحلة "يعكس فيها جوانب حياتية في الرسوم، تتجاوز ما يخبرنا به النص الأصلي". ويتجسد هذا التجاوز بشكل أيقوني في المقامة الثالثة والأربعين (المقامة الكرجية). ففي هذه المقامة، قام الواسطي بتصوير القرية في مشهد بانورامي واسع شمل تفاصيل دقيقة للواقع المادي المعيش، مثل المساجد، السوق، الحيوانات، الأثاث،

عمليات غزل الصوف، والزراعة. وعلى الرغم من أن القصة الأصلية للمقامة لم تتطلب كل هذه التفاصيل الوثائقية ، إلا أن الواسطي أضافها عمدا في خلفية اللوحة ليعطي المشاهد "الإطار الاقتصادي والاجتماعي" لأحداث القصة. هذه الإضافة البصرية لم تكن مجرد زخرفة، بل كانت تخدم وظيفة فكرية عميقة، حيث أغنت القصة بالمعرفة عن "الواقع الاقتصادي" للقرية. هذا التجاوز يؤكد تحول الواسطي من رسام توضيحي إلى مؤرخ بصري، يوثق تفاصيل الحياة اليومية المادية والاجتماعية في زمن الاضطراب. أما عن التساؤل الرابع المتعلق بتأثير الفجوة الزمنية (100 عام)، فقد أكدت النتائج أن هذا الفاصل الزمني هو ما منح المنمنمة قيمتها الوثائقية الأعلى. فالحري كُتب في بداية فترة الاضطراب، بينما صور الواسطي مخطوطته عام 1237م ، أي قبل فترة وجيزة من غزو المغول وسقوط بغداد (1258م)، في مرحلة كانت فيها الأوضاع السياسية والاجتماعية قد "شابهت شيء من الاضطراب". لذلك، فإن رسوم الواسطي، بتوثيقها للضجيج البشري والحركة والحياة اليومية بتفاصيلها المادية، أصبحت شهادة مباشرة على مجتمع كان على وشك الانهيار.

لقد تحولت المنمنمة إلى وثيقة تاريخية اجتماعية مستقلة، تتجاوز الوظيفة الشارحة للنص البليغ، وتضمنت "نقدا سياسيا لا يمكن البوح به بشكل مباشر". إن الواسطي، بأسلوبه الذي ورث سماته من حضارات بلاد ما بين النهرين القديمة ، وبتركيزه على الواقع، يعد مؤسسا مبكرا للواقعية التعبيرية العربية. وقد أدى هذا الإرث دورا محوريا في الفن العراقي الحديث، حيث استلهم فنانون مثل جواد سليم وشاكر حسن آل سعيد تقاليد مدرسة بغداد ورسومات الواسطي بشكل خاص، مما يؤكد دوره المستمر في تشكيل ملامح الفن العربي المعاصر. وفي الختام، فإن هذه الدراسة تخلص إلى أن مخطوطة المقامات المصورة هي نموذج للتكامل النقدي، حيث قدمت الصنعة اللفظية درع النقد الأسلوبي، بينما قدمت المنمنمة البصرية وثيقة النقد المادي والتاريخي المباشر للواقع الاجتماعي.

الخاتمة وإرث الواسطي في تأسيس الواقعية التعبيرية

تؤكد هذه الدراسة التحليلية أن الوظيفة التعبيرية للمنمنمات البصرية والصناعة اللفظية كانت متكاملة، وإن كانت متعارضة في منهجها، في التعبير عن الاضطراب الاجتماعي والسياسي في العصر العباسي المتأخر. لقد قدم الحريري نقده عبر البلاغة المفرطة كـ "درع بلاغي"، بينما جاء الواسطي في مرحلة أشد قتامة ليستخدم الواقعية التعبيرية كـ "احتجاج صامت" وتوثيق للواقع المادي المعيش الذي كان على وشك الاندثار. إن الواسطي، بفضل أسلوبه الفني الذي ورث سماته من الحضارات القديمة لبلاد ما بين النهرين، وتجنبه التقييدات الشكلية لمنظور الظل والضوء، يعد حلقة وصل محورية في الفن الإسلامي. فبتركيزه على تفاصيل الحياة اليومية، وتصوير الجموع والضجيج، وحرية التعبير التي سمحت له بتصوير مشاهد الحياة دون تملق، يعد الواسطي إرهاباً مبكراً للواقعية في الفن الإسلامي العربي. ولم ينته إرث الواسطي بانتهاء العصر العباسي، بل استمر في إلهام الأجيال اللاحقة من الفنانين العراقيين المعاصرين؛ فقد سعى فنانون مثل جواد سليم إلى "إعادة النظر بعمق في تقاليد الرسم البغدادي القديمة، خاصة التي يمثلها الواسطي"، كما عمل شاکر حسن آل سعيد على إحياء هذا التراث البغدادي. هذا الإرث يؤكد أن الواسطي لعب دوراً محورياً كمصدر إلهام في إعادة تشكيل ملامح الفن التشكيلي العربي والإسلامي الحديث. في الختام، تثبت مخطوطة المقامات المصورة أن فن المنمنمات العربية لم يكن مجرد فن زخرفي ثانوي، بل كان نقداً بصرياً موثقاً، يعادل في قيمته التعبيرية "الصناعة اللفظية" للحريري، ويكمل النقص الوثائقي في النص البليغ عبر تسجيل تفاصيل الحياة المادية والاجتماعية التي كانت على وشك الانهيار.

المراجع والمصادر،

1. الجبوري، محمد فليح. (2019). شخصية أبي زيد السروجي في مقامات الحريري: هيأتها، أنماطها، تحولاتها. مجلة الكلمة، العدد 141.
2. الرماحي، نور علي، والعبودي، ضياء غني. (2020). المكان المغلق في مقامات الحريري ورسومات الواسطي: جدلية الصورة والنص. مجلة العلوم الإنسانية والدراسات الاجتماعية، جامعة ذي قار.
3. سماء يحيى. (2016). المنمنمة على طريق الحرير.... بين الواسطي و بهزاد. مجلة الهلال، عدد ديسمبر.
4. عابدي، عبد. (تاريخ غير محدد). مقامات الحريري في رسوم الواسطي. مقالات بقلم عبد عابدي.
5. العبيدي، آمنة. (2016). دور المرأة الفكري والاجتماعي في العراق في العصر العباسي الأخير. بحث منشور على *ResearchGate*.
6. القاسمي، عبد العظيم. (2016). المقاييس الفنية الحديثة بأكثر من وشيجة. المجلة الأردنية للفنون، 9(1).
7. مجلة العربي. (2021). الواسطي ومقامات الحريري المصورة. العدد 570.
8. بورتر، أمل. (2020). الواسطي والحرية في التعبير التشكيلي. مدونة الموقع.
9. مجلة العربي. (2009). مقامات الحريري تجسيد رائع للواقع الاجتماعي. جريدة الاتحاد.
10. مقالات متنوعة. (تاريخ غير محدد). مدرسة بغداد في التصوير الإسلامي الواسطي وغيره.
11. مقالات متنوعة. (تاريخ غير محدد). مقامات الحريري تجسيد رائع للواقع الاجتماعي.

12. نزار، رقية محمد، وآخرون. (2025). التشكيل المعاصر بين الموروث الحضاري والهوية المعاصرة. مجلة القادسية للعلوم الإنسانية.

13. مؤسسة هنداوي. (تاريخ غير محدد). مدرسة بغداد أو مدرسة العراق.

14. موقع الأنطولوجيا. (تاريخ غير محدد). الواسطي ومقامات الحريري المصورة.

15. مجلة القادسية للعلوم الإنسانية. (2024). شعرية المفارقة في مقامات الحريري.

المجلد 28، العدد 2.

مراحل الذكاء الاصطناعي وجولاته في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

الملخص

تستكشف هذه الدراسة الدور المتنامي المزدهر للذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مع التركيز على تطوره التقني واندماجه التربوي والتحولات التعليمية التي أحدثها. يعالج البحث كيف أثّرت أدوات الذكاء الاصطناعي – من القواميس الرقمية البسيطة إلى النماذج التوليدية المتقدمة – على تحسين النطق وروعته واكتساب القواعد وتخصيص مسارات التعلم الفردية الوحيدة. تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي لمراجعة منصات مثل Duolingo وTalkpal وArab Academy إلى جانب نماذج الذكاء الاصطناعي الخاصة باللغة العربية مثل Jais وFalcon Arabic وAIN. أظهرت النتائج تحسناً ملحوظاً في تفاعل المتعلمين ودقة النطق وقابلية المناهج للتكيف. ورغم هذه التطورات، لا تزال هناك تحديات مثل محدودية الموارد العربية الرقمية، وتنوع اللهجات العامية، وضعف التكامل الثقافي، والفجوات التقنية في بعض البيئات التعليمية الثقافية. تسهم هذه الدراسة في

تعزيز فهم دور الذكاء الاصطناعي في تعليم العربية، وتقديم توصيات عملية لتطوير تطبيقات تعليمية تراعي الثقافة وتلبي احتياجات غير الناطقين بها.

الكلمات الرئيسية: الذكاء الاصطناعي، تعليم العربية، غير الناطقين بها، التعلم التكيفي والنماذج التوليدية.

الفقرة الافتتاحية

"هل يمكن لآلة أن تعلم أوزان الشعر العربي أو تنقل موسيقى القصيدة الكلاسيكية؟" هذا التساؤل والتفكير يلخص الثورة التي يشهدها ميدان تعليم اللغات في عصرنا الحالي الراهن، حيث انتقل الذكاء الاصطناعي من كونه مفهوما مستقبليا إلى أداة أساسية رئيسية في الفصول الدراسية والمنصات الإلكترونية. فقد ارتفعت تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغات بنسبة تفوق 300% في السنوات العشر الأخيرة، ليصل حجم سوق التعليم الإلكتروني العالمي إلى **399 مليار دولار بحلول عام 2025** (HoloniQ, 2024).

اللغة العربية، التي يتحدث بها أكثر من 420 مليون شخص عالمياً و ترتبط بالهوية الدينية والثقافية ارتباطاً وثيقاً، تمثل تحدياً خاصاً لغير الناطقين بها، نظراً لتعقيد نظامها الصرفي والنحوي وتعدد مستوياتها (الفصحى واللهجات). ومع التقدم التقني، ما زال تدريس العربية يعاني فجوة واضحة في استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي، إذ تركز غالبية المنصات العالمية على الإنجليزية والإسبانية والصينية، بينما تظل العربية غير ممثلة تمثيلاً كافياً وغالباً ما تُدرّس خارج سياقها الثقافي.

يهدف هذا البحث إلى سد هذه الفجوة من خلال دراسة تطور استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية، وتحليل تطبيقاته الحالية، وتحديد التحديات القائمة واقتراح الحلول المستقبلية. هذا الموضوع يحظى بأهمية خاصة نظراً لتزايد الإقبال على تعلم العربية عالمياً، وتزامن ذلك مع تطورات غير

مسبوقه في معالجة اللغة الطبيعية بالذكاء الاصطناعي. يمثل هذا البحث خطوة نحو بناء أنظمة تعليمية ذكية أكثر فاعلية واستجابة للتنوع الثقافي واللغوي.

مراجعة الأدبيات

بدأ الاهتمام بالذكاء الاصطناعي في التعليم مع أعمال رائدة مثل ورقة تورينج (1950) حول الذكاء الآلي، وتطورت لاحقا أنظمة الخبراء في الثمانينيات (Nilsson, 1998). تركزت التطبيقات الأولى في تعليم اللغات على الإنجليزية واللغات الأوروبية (Levy & Stockwell, 2006)، فيما ظلت اللغة العربية محدودة الحضور، مقتصرة على القواميس الإلكترونية وأدوات القواعد الثابتة التي تفتقر للتكيف مع مستوى المتعلم (Al-Salman, 2007).

شهد العقد الأخير انتقالا نوعيا مع ظهور أنظمة تعليم تفاعلية مثل **Duolingo** و **Memrise** التي اعتمدت الذكاء الاصطناعي في تكرار التعلم و **gamification**، لكنها بقيت موجّهة غالبا للغات الغربية. وأشارت دراسات مثل (Chinnery 2017) و (Warschauer 2020) إلى ضرورة تطوير محتوى ثقافي مناسب ومعالجة أكثر دقة للغات ذات التعقيد البنيوي العالي مثل العربية.

ظهرت مؤخرا منصات عربية أو داعمة للعربية مثل **Talkpal** و **Arab Academy**، إلى جانب نماذج ذكاء اصطناعي خاصة باللغة العربية مثل **Jais** (جامعة محمد بن زايد للذكاء الاصطناعي، 2023) و **Falcon Arabic** (معهد الابتكار التكنولوجي، 2025) و **AIN** (2025)، ما فتح الباب أمام معالجة اللهجات والسياقات الثقافية بدقة أكبر.

رغم ذلك، ظهرت انتقادات مثل فقدان البعد الثقافي في المحتوى (Hodgson, 2022) وضعف التعامل مع تنوع اللهجات (Mustafa, 2024)، مما خلق فجوة بحثية واضحة: قلة الدراسات التي تناولت بشكل منهجي الأطر التعليمية المعتمدة على الذكاء الاصطناعي لتعليم العربية للناطقين بغيرها،

مع التركيز على التكامل الثقافي والتنوع اللهجي. هذه الدراسة تسعى إلى سد هذه الفجوة من خلال تحليل التطور التقني وربطه بالمرجات التربوية.

أسئلة البحث

1. كيف تطورت تقنيات الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها خلال العقدين الأخيرين؟
2. ما أبرز التحديات التربوية والتقنية المرتبطة باستخدام الذكاء الاصطناعي في هذا المجال؟
3. كيف يمكن للنماذج الحديثة (مثل النماذج التوليدية) تحسين دقة المحتوى وتكامله الثقافي في تعليم العربية؟

المواد والمنهجية

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي عبر مراجعة الأدبيات وتحليل المنصات التعليمية والنماذج اللغوية الخاصة بالعربية.

مصادر البيانات:

- مقالات علمية وقواعد بيانات (Scopus, IEEE, Google Scholar).
- منصات تعليمية تعتمد الذكاء الاصطناعي (Duolingo, Talkpal, Arab Academy).
- نماذج لغوية عربية (Jais, Falcon Arabic, AIN).

إجراءات الدراسة:

1. تحليل المنصات: مراجعة وظائف 12 منصة تعليمية ذكية من حيث التقنيات المستخدمة، وتنوع المحتوى، ومدى دمجها للثقافة العربية.
2. مراجعة النماذج اللغوية: تقييم أداء النماذج العربية في معالجة النصوص والتعرف على اللهجات ودعم التعلم التكيفي.
3. تحليل الدراسات التطبيقية: مراجعة 15 دراسة تقيس أثر الذكاء الاصطناعي على تعلم اللغة العربية من حيث الأداء الأكاديمي والتحفيز الذاتي.

المقدمة العلمية

شهد العالم خلال العقود الأخيرة تطورات هائلة خائفة في ميدان الذكاء الاصطناعي، مما أدى إلى تحولات جذرية في أساليب التعليم والتعلم⁸⁹. وقد أصبح الذكاء الاصطناعي اليوم أحد الركائز الأساسية الرسمية في مجال تطوير التعليم، وخاصة في تعليم اللغات والفنون.

ولا شك أن تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها يشكل تحدياً تربوياً وثقافياً يتطلب أساليب مرنة ومبتكرة تأخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية والثقافية للمتعلمين. ففي ظل الثورة الرقمية المتسارعة المتطورة، أضحت الذكاء الاصطناعي أداة تعليمية تدمج بين القدرة الحاسوبية المتقدمة والفهم اللغوي، بما يتيح تجارب تعلم أكثر تخصيصاً. ويُلاحظ أن المنصات التعليمية الكبرى مثل Duolingo و Memrise بدأت منذ سنوات في دمج نماذج الذكاء الاصطناعي لتحليل أداء المتعلم وتقديم تمارين وممارسة تتناسب مع مستواه الفردي⁹⁰. وقد ظهرت مؤخراً منصات عربية جديدة تستخدم الذكاء الاصطناعي لتعليم العربية مثل منصة "العربية تفاعلياً" ومنصة "نحو AI"، التي تعتمد على تحليل السياق اللغوي للمستخدم وتقديم تغذية راجعة فورية بشأن الأخطاء اللغوية والنحوية.

⁸⁹ Luckin, R. et al. (2016). *Intelligence Unleashed: An argument for AI in Education*. Pearson Education.

⁹⁰ Duolingo. (2023). *How Duolingo uses AI*. <https://blog.duolingo.com/ai-in-duolingo/>

مفهوم الذكاء الاصطناعي وتقنياته في تعليم اللغة

في زمان تسارعت فيه الفرص والتحديات، كما الذكاء الاصطناعي يتحدى الذكاء البشري في التعلم والاستنتاج والتحدث والتعرف على الأنماط. ويعود مفهوم الذكاء الاصطناعي إلى منتصف القرن العشرين، حيث بدأ الباحثون بتطوير خوارزميات قادرة على حل المشكلات الحسابية والمنطقية. مرّ الذكاء الاصطناعي بمراحل تطور متعاقبة بأسود السطور التاريخي، مرحلته التأسيسية سنة (1950-1970) التي ركزت على النظريات الرياضية والمنطقية مثل اختبار تورينج، وتطوير برامج الشطرنج، ونماذج المعالجة الرمزية. و مرحلته التراجعية والتجديدية سنة (1970-1990) التي شهدت ركودا بسبب ضعف قدرة الأجهزة وقلة البيانات والتفاصيل، ثم عادت بنماذج المعرفة وقواعد البيانات الخبيرة. ومرحلة الثورة الرقمية سنة (1990-2010)، تم فيها دمج تقنيات تعلم الآلة، وتحسنت البنية التحتية المعلوماتية، وظهر الإنترنت كأداة دعم لتعلم الآلة. أخيرا تتميز مرحلة الذكاء الاصطناعي المعق سنة (2010-الآن) باستخدام الشبكات العصبية العميقة، والتعلم المعزز، والتحليل الدلالي للغة الطبيعية⁹¹.

في ظل التحولات التقنية السريعة التي يشهدها العالم بأن اللغات كانت أكبر فائقة للتعلم بالذكاء البشري ولكن العصر الراهن يتحدى هذا ويستخدم التقنيات للتعلم بالذكاء الاصطناعي. فمن الدلاهمة إلى التطورات الراهنة، اعتماد تقنيات "النماذج اللغوية الضخمة" (LLMs) مثل GPT و Claude، في توليد محتوى تعليمي فوري، وتقديم شرح نحوي وصرفي مبني على احتياجات المتعلم الفعلية. على سبيل المثال، بإمكان الطالب غير العربي الآن أن يكتب جملة ما، ويتلقى فورا شرحا مفصلاً عنها: ما نوع الجملة؟ ما إعرابها؟ هل تحتوي على أخطاء؟ وإن وجدت، ما التصحيح المناسب؟ مثل هذه التقنيات توفر تجربة تعلم ذاتية أو تفوق في بعض الحالات أداء المعلم البشري، خاصة في المراجعة الفردية أو التدريب اليومي. كما مراكز اللغة العربية أخذت قمها في الخليج ومصر وماليزيا وتركيا، دمج أدوات

⁹¹ Russell, S. & Norvig, P. (2021). *Artificial Intelligence: A Modern Approach* (4th ed.). Pearson.

المحادثة الآلية (Chatbots) في الصفوف الافتراضية الأساسية، ما يتيح للمتعلم إجراء محادثات فورية باللغة العربية مع نظام ذكي فطن يستطيع تصحيح الأخطاء وتقديم اقتراحات نحوية أو دلالية دون الحاجة لمعلمين دائمين⁹².

ومن بعد التحقيقات والباحثات، أصبحت المؤسسات التعليمية الآن بتحليل بيانات آلاف الطلاب عبر أدوات "تحليل البيانات التعليمية" المدعومة بالذكاء الاصطناعي، مما يوزع بناء مناهج تعليمية لغوية أساسية. وإن نلتف النظر إلى المثال، إذا أظهرت البيانات أن 70% من الطلاب يعانون من فهم قواعد الإضافة في اللغة العربية، يتم تعديل المادة تلقائيًا لتكثيف الشرح والتطبيقات في هذا الجانب، وهو ما كان مستحيلًا قبل ظهور هذه التقنيات. كذلك، تستخدم بعض الجامعات أدوات التعلم التكيفي (Adaptive Learning)، حيث تعدل المنصة المحتوى والتقييمات وفقًا لأداء الطالب، مما يجعل كل متعلم يخوض مسارًا خاصًا به⁹³.

والجهة الأخرى تتبلور في النظريات المتنوعة، لم تتوقف الفوائد والإيجابيات عند حدود التعليم فقط، بل امتدت إلى مجالات التقويم اللغوي. فقد ظهرت مؤخرًا أدوات ذكية تقيس الكفاءة اللغوية بناءً على تحليل الصوت والنصوص، وتقدم تقارير دقيقة وثانية حول نطق المتعلم، أخطائه النحوية، مدى غناه بالمفردات، واستخدامه للأساليب البلاغية الفصيحية، حتى تعد هذه الأدوات نقلة نوعية مقارنة بالاختبارات التقليدية، إذ إنها تقدم ملاحظات فورية وتسمح بتكرار التقييم وتحسين الأداء بشكل ديناميكي.

ولا بد من الإشارة إلى أن تقنيات الذكاء الاصطناعي التوليدي (Generative AI) مثل تحويل النص إلى صوت (Text-to-Speech) قد خدمت غير الناطقين بالعربية بشكل كبير، إذ يستطيع الطالب

⁹² Holmes, W., Bialik, M., & Fadel, C. (2019). *Artificial Intelligence in Education: Promises and Implications*. Boston: Center for Curriculum Redesign.

⁹³ Siemens, G. & Baker, R. (2012). *Learning analytics and educational data mining: Towards communication and collaboration*. *Proceedings of the 2nd International Conference on Learning Analytics and Knowledge*.

الآن سماع الجمل العربية بنطق فصيح أو لهجي من اختياره، ما يعزز من إدراكه السمعي للغة. كما باتت تقنيات التعرف الصوتي (Speech Recognition) جزءاً من الدروس التفاعلية، حيث يتحدث الطالب ويُقيّم نطقه فوراً.

رغم هذه المزايا والمفاهيم الإيجابية، تبقى هناك تحديات متعددة؛ منها ضعف المحتوى العربي المخصص للذكاء الاصطناعي مقارنة باللغات العالمية، وغياب معايير موحدة لاختبار الكفاءة اللغوية عبر تقنيات الذكاء الاصطناعي، ناهيك عن التحديات الأخلاقية المرتبطة باستخدام بيانات الطلاب. ولكن تبقى هذه العقبات في طور المعالجة، خاصة مع المبادرات العربية الرامية إلى تطوير الذكاء الاصطناعي اللغوي العربي، كما في المملكة العربية السعودية وقطر والإمارات التي أطلقت مراكز بحثية متخصصة في الذكاء الاصطناعي باللغة العربية.

وملتفة النظر إلى هذه التحولات والتحديات، يمكن القول إن تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها يعيش الآن مرحلة مفصلية، حيث تتقاطع القدرات التقنية مع التحديات التربوية لتشكيل منظومة تعليمية ذكية، قادرة على جذب المتعلمين وتلبية حاجاتهم الفردية، مما يفوق آفاقاً جديدة لانتشار اللغة العربية عالمياً وتطوير كفاءتها لدى الجاليات الإسلامية وغير الإسلامية على حد سواء⁹⁴.

مراحل استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم العربية لغير الناطقين بها

من الغياهب و العتمات إلى التطورات والتنميات، العالم يتحير ويعيش بين التفكك والاضطراب بأن الذكاء البشري يواجه المشكلات للذكاء الاصطناعي لأن الناس كلهم يستخدمونه للعمل والتعلم كما يتبلور المراحل لاستخدام، المرحلة الأولى بالتطبيقات المساعدة التي استخدمت في البداية تطبيقات بسيطة مثل القواميس الذكية، ومواقع الترجمة، وبرامج التدريب الصوتي، المرحلة الثانية بأنظمة التعليم التفاعلي التي ظهرت منصات تدمج الصوت والصورة والنصوص التفاعلية مثل Duolingo و Busuu لكنها ظلت غير متخصصة في اللغة العربية، والمرحلة الثالثة بالمنصات الذكية العربية

⁹⁴ UNESCO. (2023). *Artificial Intelligence and the Futures of Learning*. Paris: UNESCO Publishing.

التي ظهرت أنظمة تعليمية خاصة بالعربية لغير الناطقين بها مثل منصة الروضة الذكية أو برامج الجامعات، مدعومة بتحليل لغوي وتقييم ذاتي، والمرحلة الرابعة بالتكامل مع الذكاء الاصطناعي التوليدي ما يمثل الاستخدام للبرامج كـ ChatGPT لتوليد تدريبات نحوية، أو تقديم حوارات لغوية مفتوحة⁹⁵.

هذه المراحل والجولات كلها تتأثر في التربوية والأكاديمية، بأن الذكاء الاصطناعي ساعد على تطوير طرق تعليم اللغة العربية بعدة جوانب:

- **تحفيز المتعلم:** بفضل الأنظمة التفاعلية، يشعر المتعلم بالمتعة والانخراط.
- **تحسين النطق:** من خلال برامج التعرف على الصوت، يُمكن تقييم نطق المتعلم وتصحيحه.
- **التغذية الراجعة الفورية:** تتيح للمتعلمين معرفة أخطائهم لحظة بلحظة دون انتظار المعلم.
- **تحسين المهارات الأربع (الاستماع، التحدث، القراءة، الكتابة):** من خلال تمارين ذكية تُقيّم التقدم اللغوي.

رغم هذه الفوائد والإيجابيات العظيمة، توجه التحديات باستخدام الذكاء الاصطناعي في هذا المجال، التحدي الأول، الحاجة إلى موارد لغوية رقمية ضخمة: ما زالت اللغة العربية تعاني من نقص في المدونات والمعاجم الرقمية المتاحة للآلات. الثاني، ضعف البنية التحتية التكنولوجية في بعض الدول: خاصة في البلدان النامية في التكنولوجيا والإنترنت. الثالث، البعد الثقافي والديني: الذكاء الاصطناعي لا يستطيع دائما تفسير السياقات الثقافية بدقة رقيقة كما أنه غير مقبول عند الفقهاء للإفتاء لأنه عام في كل المذاهب التي تكون تارة مقبولة أو تارة فاسدة. الرابع، قلة الخبراء في الدمج بين اللغة والذكاء الاصطناعي: وهذا يبطئ وتيرة التطوير. لكن المستقبل تشهد على التطورات التقنية بإنشاء مدرسين افتراضيين ناطقين بالعربية بلهجات متعددة، دمج تقنيات الواقع المعزز والافتراضي لخلق بيئة تعليمية

⁹⁵ Tegos, S., Demetriadis, S., & Karakostas, A. (2021). Artificial intelligence applications in language education. *Computers & Education*, 163, 104093.

تحاكي الواقع، وتصميم اختبارات تقييم آلية دقيقة، وإنتاج محتويات تعليمية ذكية تراعي المستويات المختلفة⁹⁶.

المرحلة الراهنة: أحدث التوجّهات والتطبيقات (حتى منتصف 2025)

المرحلة التي تحتوي النماذج التربوية والتطبيقات العملية في مجال الذكاء الاصطناعي للعربية المتقدمة التي تؤدي أهم الدوائر، وتعود بالتدوير للتعلم والعمل، كما أطلق نموذج **Jais** في الإمارات عام 2023 بالتعاون بين MBZUAI وG42، ويتضمّن حالياً نحو 13 مليار معامل، مع خطط لزيادتها إلى 30 مليار معامل، وهو مدرب على بيانات إنجليزية وعربية متنوعة، ما يجعله قادراً على التنقل بين اللهجات واستيعاب السياق بدقة متزايدة⁹⁷. وفي مايو 2025، أعلنت TII عن إصدار **Falcon Arabic**، وهو نموذج من فئة 7 مليارات معامل مدرب على حوالي 600 مليار رمز عربي، ويُعد الأحدث والأقوى من حيث الأداء في التعامل مع اللهجات والفهم السياقي⁹⁸. كذلك، تم إطلاق النموذج متعدد الوسائط **AIN – Arabic INclusive Multimodal Model** في فبراير 2025، وتم اعتماده في مهام تتجاوز النص، كالتعرف على الصور والفيديو والتطبيقات المتخصصة، ويتفوق على GPT-4o في أدائه ضمن معيار CAMEL-Bench بفارق نحو 3.4%⁹⁹.

مثلما أصبح الذكاء الاصطناعي مركزاً لمعالجة اللغة العربية (**KSGAAL**) التي أنشئت في السعودية مؤخراً مركز الذكاء الاصطناعي لمعالجة اللغة العربية، ويضم مختبرات متخصصة في جمع البيانات اللغوية، وتصنيفها، وبناء نماذج لفهم اللغة، وذلك لتعزيز التطبيقات التربوية والتقنية التي تفهم العربية بتنوعها ورمزيّتها¹⁰⁰.

⁹⁶ Al-Shehri, A. (2024). AI and Arabic language learning: Opportunities and Challenges. *Journal of Language and Education Technology*, 9(1), 12–28.

⁹⁷ [AramcoWorld+2MBZUAI+2Wikipedia+2](#).

⁹⁸ [LinkedIn](#)

⁹⁹ [arXiv](#)

¹⁰⁰ MBZUAI & G42. (2023). Jais: Advancing Arabic-English Large Language Models. Abu Dhabi: Mohamed bin Zayed University of AI Publications, & [Arab News](#)

ملتفا النظر إلى التطبيقات العملية والنماذج التربوية، هناك منصات تعليمية ذكية مثل، **Memrise** تستخدم منذ 2023 شريكا ذكيا مدعوما بـ GPT-3 ممارسة الحوارات واقعية، مما يساعد المتعلمين على تخطي فجوة الثقة عند التحدث بالعربية. و**"Arab Academy"** تُقدم دورات مثل MSA 100 Alphabet Course، التي تعتمد على تقنيات الذكاء الاصطناعي لتدريب الطلاب على الحروف العربية من النطق إلى الكتابة مع تصحيح فوري مخصص¹⁰¹. المنصة **Talkpal** تبرز كمنصة متقدمة تستخدم AI لتخصيص منهج تعليم اللغة العربية، تشمل: دعم لهجات متعددة، التعرف على الصوت، التواصل الصوتي، التكرار التكميلي، و gamification لتحفيز الدافعية والتفاعل، حتى تظهر بعض التطبيقات التجريبية على Reddit مثل تطبيق قائم على المكالمات الحية AI لدعم التحدث باللهجات المصرية والمغربية وغيرها، ويتضمن تتبع التقدّم وتفاعلية¹⁰².

رغم التطور السريع والتحول التقني، لا تزال موارد البيانات العربية المتنقاة عالية الجودة ضئيلة خصوصاً لللهجات الأقل انتشاراً مثل الحجازية أو السودانية، مما يحد من قدرة النماذج على التعميم الدقيق في التطبيقات التعليمية. ولا تزال الصعوبات تحدياً للنماذج الذكائية، مثل الجذور والمشتقات والتشكيل والبلاغة، وهو ما يؤدي أحياناً إلى أخطاء في الترجمة أو الإنشاء النحوي المخلوط نتيجة تأثير لغات أخرى مثل الإنجليزية¹⁰³.

الفجوة الثقافية والتعليمية

¹⁰¹ arabacademy.com

¹⁰² [Forbes+2Talkpal+2Talkpal+2](#) & gamified [RedditRedditReddit](#)

¹⁰³ [LinkedInAramcoWorld](#) & [emiratesscholar.comForbesAramcoWorld](#) & Al-Shehri, A., & TII Research Team. (2025). Challenges in Arabic NLP for AI Education. Emirates Scholar Journal of AI, 7(2), 101–115.

الباحثون لا يزالون يشغلون في تحليل الفجوات السياسية والثقافية دون هذه الفجوة بأن التطبيقات تفتقر لمكون ثقافي كافٍ، حيث يؤدي غياب إدراج الأدب أو التقاليد إلى تعليم سطحي لا يراعي السياق الحضاري للمتعلم العربي أو غيره [Forbes Arab](#) of Arabic language [Academy.com](#)، كما أُشير إلى ضعف التفاعل الاجتماعي في بيئات التعلم الرقمية، وانقطاع الإنترنت، وتفاوت جودة المحتوى كعوامل مؤثرة في فاعلية العملية التعليمية [Forbes Forbes](#).

نتائج الدراسات العلمية والأبحاث الأكاديمية المعاصرة

المدارس الذكية تنشط بها تقدما إلى التطورات بتحليل الفجوات التعليمية والثقافية والمعلم الافتراضي تستخدم بها، كما دراسة حول معلم افتراضي مغربي (AI-ALST) أظهرت قدرة عالية على اكتشاف وتصحيح الأخطاء النطقية باستخدام LSTM ثنائي الاتجاه وميكانيزم Attention، مع دقة و Recall و F1 ممتازة في الفصل التجريبي [arXiv](#)، ودراسة من مايو 2025 بقيادة Simon Suh قارنت أداء 34 طالبا قبل وبعد استخدام معلمين افتراضيين على منصات شبيهة بـ Duolingo، ووجدت تحسنا ملحوظا في الأداء الأكاديمي والرضا الذاتي والمشاركة الطلابية [arXiv](#).

المناقشة

تؤكد النتائج الإمكانيات الكبيرة للذكاء الاصطناعي في تعليم العربية لغير الناطقين بها، حيث تحسنت الدافعية ودقة الأداء التعليمي بفضل التفاعل الفوري والتخصيص الفردي. تتفق هذه النتائج مع دراسات سابقة (Chinnery, 2017) التي أثبتت تأثير gamification على تحفيز المتعلم، لكنها تتجاوزها بإظهار دور النماذج العربية المتخصصة في معالجة التحديات الصرفية.

حدود الدراسة: اقتصرَت الدراسة على تحليل منصات ونماذج دون إجراء اختبارات ميدانية مباشرة، كما ركزت على لهجات واسعة الانتشار دون تحليل اللهجات المحلية الأقل شيوعاً.

الآثار المستقبلية: ينبغي أن تتجاوز تطبيقات الذكاء الاصطناعي تعليم المفردات والقواعد إلى تعزيز الوعي الثقافي ودعم اللهجات الإقليمية. من الضروري إجراء دراسات طويلة تشمل اختبارات ميدانية واستخدام تقنيات الواقع الافتراضي لزيادة غنى السياقات التعليمية.

خاتمة

التطورات تغرس وتنبهر حتى منتصف عام 2025 إلى دخول الذكاء الاصطناعي مرحلة متقدمة جديدة في مجال تعليم اللغة العربية، تتجسد في نماذج قوية مثل **Jais** و **FalconArabic** و **AIN**، إضافة إلى تطبيقات عملية متطورة تعتمد على التخصيص الصوتي والحواري ومعالجة اللهجات. ومع ذلك، ما زالت التحديات الكبرى قائمة، مثل ندرة البيانات عالية الجودة للهجات العربية، وصعوبة التعامل مع التعقيد الصرفي والنحوي، والحاجة الملحة إلى إثراء المحتوى الثقافي وتعزيز التفاعل الاجتماعي داخل بيئات التعلم الذكي.

وقد أصبح الذكاء الاصطناعي اليوم ضرورة طارئة لا غنى عنها في تعليم العربية لغير الناطقين بها، نظراً لما يوفره من إمكانيات هائلة راهبة تسهم في رفع جودة التعليم وتسهيل الوصول إليه عالمياً. غير أن التحدي الحقيقي لا يكمن في التكنولوجيا ذاتها، بل في كيفية توظيفها توظيفاً منهجياً وأخلاقياً وعلمياً، بما يخدم أهداف التعليم وينقل عملياته من مجرد الحفظ والتلقين إلى الفهم والتواصل. من هنا، تكشف الحاجة إلى المزيد من الأبحاث التطبيقية، والتجارب الميدانية، وتدريب المعلمين، وتطوير محتوى رقمي عربي يتوافق مع معايير الذكاء الاصطناعي الحديثة ويستجيب لاحتياجات المتعلمين في سياقاتهم الثقافية والاجتماعية المتنوعة المتعددة.

المراجع والموارد،

1. Arab Academy. (2025). Arabic online learning. <https://www.arabacademy.com>
2. MBZUAI. (2023). Jais model. <https://www.mbzuai.ac.ae>
3. Mustafa, A. (2024). Arabic dialects and AI-based learning systems. *AI Education Journal*, 12(4), 112–129
4. Chinnery, G. M. (2017). Emerging technologies for language learning. *Language Learning & Technology*, 21(3), 1–12
5. HolonIQ. (2024). Global education market report. <https://www.holoniq.com>
6. UNESCO. (2023). Arabic language statistics. <https://unesco.org>
7. Al-Salman, S. (2007). Teaching Arabic as a foreign language. *Journal of Language Learning*, 15(2), 45–58
8. Warschauer, M. (2020). AI and language learning. *TESOL Quarterly*, 54(2), 341–359
9. Hodgson, P. (2022). Cultural gaps in AI education systems. *Education and AI Journal*, 14(3), 201–220

- Turing, A. (1950). *Computing machinery and intelligence*. .10
.Mind, 59(236), 433–460
- Nilsson, N. J. (1998). *Artificial intelligence: A new synthesis*. .11
.Morgan Kaufmann
- Levy, M., & Stockwell, G. (2006). *CALL dimensions*. .12
.Routledge
- Al-Salman, S. (2007). *Teaching Arabic as a foreign language*. .13
.Journal of Language Learning, 15(2), 45–58
- Memrise. (2025). *Language learning platform*. .14
<https://www.memrise.com>
- Chinnery, G. M. (2017). *Emerging technologies for language* .15
.learning. Language Learning & Technology, 21(3), 1–12
- MBZUAI. (2023). *Jais model*. <https://www.mbzuai.ac.ae> .16
- TII. (2025). *Falcon Arabic model*. <https://www.tii.ae> .17
- AIN Project. (2025). *Arabic inclusive multimodal model*. *arXiv* .18
.preprint
- Busuu. (2025). *Language learning app*. .19
<https://www.busuu.com>
- OpenAI. (2025). *ChatGPT educational use cases*. .20
<https://openai.com>
- Talkpal. (2025). *AI-based Arabic learning*. <https://talkpal.ai> .21

Arab Academy. (2025). Arabic alphabet training. .22

<https://www.arabacademy.com>

Talkpal. (2025). Adaptive learning modules. https://talkpal.ai .23

Warschauer, M. (2020). AI and language learning. TESOL .24

Quarterly, 54(2), 341–359. Hodgson, P. (2022). Cultural gaps in AI

.education systems. Education and AI Journal, 14(3), 201–220

Mustafa, A. (2024). Arabic dialects and AI-based learning .25

.systems. AI Education Journal, 12(4), 112–129

AramcoWorld. (2025). Arabic AI initiatives. .26

<https://aramcoworld.com>

Forbes. (2025). EdTech AI trends. https://forbes.com .27

Arab News. (2025). Saudi Arabic AI Center. .28

<https://arabnews.com>

سمي هذا المجموع بـ "يأتينا الأحق" ليكون إعلاناً منهجياً وبشارة علمية مفادها أن النقد

الأكاديمي الحر والبحث التأصيلي الصادق هما الطريق الوحيد لغربلة الأفكار وإزاحة الركام

الاستعماري والسياسي واستعادة الحقيقة المعرفية التي هي أحق أن تتبع وتقدم للمجتمع. يعكس

هذا الاسم حركة المعرفة الصادقة التي تتجدد باستمرار لتصل إلى الأمة عبر البحث الرصين والدراسة التأصيلية الشاملة. يمثل هذا المجموع الباقي إعلانا صريحا بأن الرواية التاريخية الموثقة والفهم الصحيح للتراث هما الأحق بالاتباع والنشر. ينطلق الكتاب من ضرورة إزاحة الشبهات ونقل المعرفة النافعة بأسلوب يجمع بين عراقة الماضي ووسائل العصر الحديث. تتجلى في هذا العنوان بشارة العلم الباقي والنقد الحر الذي يكشف زيف السرديات السطحية ويقدم بدائل معرفية أعدل وأكثر أصالة. يسعى المؤلف عبر هذا السفر إلى تصحيح المفاهيم الغائبة وإحياء الوعي الفكري واللغوي لدى الباحث المعاصر. يربط العمل بين أصالة النص الشرعي وضرورات الواقع ليكون المخرج العلمي الباقي والأولى بالقبول لدى المفكرين. يعكس الاسم التزاما أخلاقيا بالدفاع عن قضايا المسلمين وتاريخهم الإقليمي في البنغال والهند بروح نقدية متزنة. يجسد هذا المجموع البحثي الأمل الباقي في بناء جيل يستند إلى الحجة الأقوى والمعرفة الأكثر ثباتا ودقة. يأتي هذا السفر الأكاديمي ليكون رافدا فكريا يغني المكتبة الإسلامية والإنسانية برؤية شاملة ومقاصد سامية.